

المسحاة

مجلة

المجلد السادس عشر
الجزء الأول



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد السادس عشر)

١

(الجزء الأول)

بإذن المحكمة من إنشاء ومن بوث المحكمة فدادني
غيرا كثيرا وما يذكركم الا اولو الالباب

المجلد

١٣١٥

بإذن المحكمة من إنشاء ومن بوث المحكمة فدادني
غيرا كثيرا وما يذكركم الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ه مناراه كنار الطريق

(مصر ٣٠ المحرم ١٤٣٣ هـ ق ١٩ الشتاء الاول ١٢٩١ هـ ش ٨ يناير ١٩١٣ م)

فاتحت السنة السادسة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فقد جرت عادتنا ان نشير
في فواتح سني المنار ، الى شيء من تاريخه أو تاريخ الإصلاح ، أو حال
بيمه في عالم الاسلام ، ونقول الآن على رأس السنة السادسة عشرة ان
صوت الإصلاح الديني قد علا كل صوت في الاقطار الاسلامية التي
بلغتها دعوته ، وهزتها صيحته ، نفضت دونه أصوات الحشوية الجامدين ،
والدجاجلة المخرفين ، وقد خذل الله بيروت في العام الماضي أشدهم إفكاً

٢ خذلان أشهر الدجالين أعداء الإصلاح (المازج ١٦م)

وتحريفنا ، فيما يسميه نظماً وتأليفاً ، نخذله الخلاصة ، ولم تنصره العامة ، وعورض مايفتريه من الرؤى والاحلام ، بشيوع خبر رؤيين راهبا بعض الصالحين من الحجاج ، فقد حدثني الأئمة المتفق على توثيقه في بيروت ، قال : لما عاد والدي من الحجاز عام حجه جاء (الشيخ فلان) للسلام عليه وكان يعد من أصدقائه واقبل بلهف ودهشة ليمانته ، فصاح به والدي ياشيخ فلان — وذكر اسمه — ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راض عنك ، فقد رأيته عند زيارته في المدينة المنورة في الرؤيا وأمرني أن أبلغك انه غير راض عنك . وأما الرؤيا الأخرى فقد رويت لي عن رجل من الحجاج أعطاه ذلك الدجال نسخا من كتبه ليوزعها في المدينة المنورة فرأى النبي (ص) في نومه قبل دخول المدينة بليلة واحدة يقول له ان هذه الكتب غير مقبولة . فلما استيقظ ألقى تلك الكتب أودفنها في جانب الطريق . فقتل هاتين الرؤيين ، من دينك الحاجين الصالحين ، بقض مايدعيه ذلك الدجال من الرؤى التي هو متهم فيها بتعظيم شأن نفسه ، والتمهيد لدعوى الولاية له ولولده ، وتحقير من اتخذهم أعداء له ، لأنهم ينيرون عقول الأمة حتى لا تغتر بمثله

هذا إيماء الى مبادئ عاقبة دجال القطر السوري المجاهر بعداوة الإصلاح وأهله ، ولا تكبر شأنه بالرد عليه أو التصريح باسمه ، وقد خفت أيضا صوت دجال (جاوه) وظهر جهله ، وما أبقى عليه تكريم حكومة هولندية بل نسبه وسنه ، ودجال تونس المقيم ، معدود عند عقلاء بلده من المجاذيب أو المجانين ، ولو كان في تونس حرية لحزب الإصلاح ، كالحرية الشاملة لأهل الجمود والفساد ، لرأى العالم الاسلامي من تونس ما لم يروه من سائر الاقطار ، وأما دجالها المتقلب في البلاد ، كتنقلبه في الآراء

(المار ج ١ م ١٦) قوة المصلحين على قلتهم وضعف الدجاجة على كثرتهم ٣

والافكار ، فهو يتتبع مواقع النصيب والاشتهار ، ويتأيا مساقط الدرهم والدينار ، فيدور مع من يملك ذلك حينما دار ، حتى انه أفتى بجواز بناء الكنائس للروم والبلغار ، والاتفاق على ذلك من بيت المال ، فقال الخطوى ، يمثل هذه الفتوى ، عند زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، واصطنعوه لكل ما يفتون من الخداع الديني . وقد خذلهم الله ولم يعتبر المسكين ، (وأملى لهم ان كيدي متين)

هذه حال المجاهرين بمقاومة الاصلاح الديني وأهله ، لاصوت لأحد منهم يسمع ، ولا رأي لهم يتبع ، وانما يغترون بكثرة من يصدق الخرافات ، ويسلم كل ما يعزى الى الاموات ، تقليدا للآباء والامهات ، وهواتاة للاتراب واللدات ، ويحسبون هذا اتباعا لهم ، ويمدون أهله من أشياعهم ، فيفتنون بكثرتهم ، ويهونون أمر المصلحين لقلتهم ، وقلة من يهتدي بهم ، ولو فكروا وقدروا ، وتدبروا واعتبروا ، لرأوا ان هذه القلة هي محل الرجاء ، وتلك الكثرة كالنشاء أو الهباء ، وانها تنفدت كل يوم من أيديهم كما تنفدت الابل من عقولها ، بل من جامعة الاسلام التي عرفوا اسمها وجهلوا حدها وفصلها ، فكثرة أشياع الخرافات الى قلة ، وقلة حزب المصلحين الى كثرة ، وقد فطن هرقل ملك الروم ، لهذا الامر الذي جهله المغرورون ، فسأل عن أتباع النبي (ص) أيزيدون أم ينقصون ، فلما علم أنهم على قلتهم في ازدياد ، وان من دخل فيهم لا يخرج منهم ، علم أنهم حزب الله الغالبون

ولو رجع أولئك الدجالون البصر ، وكرروا التأمل والنظر ، لرأوا أن هؤلاء العوام ، الذين لم تبلغهم حقيقة دعوة الاصلاح ، أو صدم عن

النظر فيها سدة القبور المعبودة وتجار الولاية والإصلاح، هم الذين يتسللون يوماً بعد يوم مما يسمى الإسلام التقليدي، ولا يهتدون السبيل إلى حقيقة الإسلام البرهاني، فأكثرهم يفتنون بالشبهات المادية، التي يثبها فيهم حملة قشور العلوم المصرية، ومنهم من يشكون في الإسلام بمطاعن دعاة النصرانية، فما بال زعماء الدجل والخرافات، لا يتصدون للرد على تلك الشبهات، وأثنى لهم الرد عليها وهم لا يعرفون مواردها ومصادرها، ولا يقفون على شيء من العلوم المتولدة هي منها، ولا يميزون بين أصول الإسلام التي يجب الدفاع عنها، والخرافات والأوهام الملتصقة بها، وإنما قصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام أن جميع العلوم الطبيعية باطلة، وأن تعلمها كفر ومثغليها زنادقة، ويريدون أن يتلقى الناس قولهم هذا بالقبول والتسليم، كما يوجبون عليهم قبول جميع ما يقولون أنه من الدين، على أنهم يعظمون الحكم والأغنياء المتعالمين لتلك العلوم، فهل يرضى أحد بأن يكون من هؤلاء في مكان التقليد من الإمام المصنوم، ؟ كلا إننا نرى كثيراً من المتعلمين في المدارس المصرية، يعدون خرافات أمثال هؤلاء الدجالين حجة على جميع العلوم الإسلامية، فهم لذلك يصدون عنها، ويعمدون من إضاعة الوقت النظر في شيء منها.

يزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو إليه المصلحون من سبهي الكتاب والسنة، على النحو الذي كان عليه الصدر الأول من الأمة، ونبتذ كل ما استحدثه الخلف، مخالفاً لما كان عليه السلف، عملاً بقوله (ص) « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث عائشة. وقد جعلوا همهم الطعن

في دعاة هذا الإصلاح، ورهيمهم بحجارة الزور والبهتان، وأكبر شبهتهم أن هذا من الاجتهاد، الذي انقطع فضل الله به عن العباد، وأن كتاب الله الذي أنزله هدى للعالمين، ووصفه بالتبيان والمبين، لم يتبين معناه إلا للأفراد الأقالين، الذين وصفوا بالأئمة المجتهدين، حتى أنهم لو لم يوجدوا لما أمكن لأحد أن يكون من المسلمين، وأن سنة الرسول (ص) لا تكفي في بيان كتاب الله من دون علمهم، وأن قال الله تعالى (١٦ : ٤٤) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) !! فإن لم يكن قد بينه كما أمر الله، فكيف يكون قد بلغ رسالة الله؟ وهل يعقل أن يكون عجز عن ذلك وقدر عليه سواد؟ معاذ الله وحاش لله.

ألا إن هؤلاء ليسوا من أهل البصيرة والاستدلال، فنجذبهم بالحجة أو ندفعهم بالبرهان، وإنما نريد بمثل هذا الكلام، أن نذكر من لهم نصيب من الاستقلال، بأن مقلدة أمثال هؤلاء المساكين، كلهم عرضة للمروق من الدين، وأنهم لو كانوا يغارون عليهم وعلى دينهم لجعلوا همهم في وقايتهم من الكفر والإلحاد، لا في وقايتهم من هدي السنة وهدى القرآن، وحصر وعنايتهم في كشف الشبهات التي تخرجهم من حظيرة الإسلام، لا في نشر الخرافات التي تحصرهم في زريبة الاوهام، ولكن يظهر أن ترك الإسلام ألبتة، أهون عليهم من ترك التقليد الأعمى إلى هداية الكتاب والسنة، ولذلك نراهم يدهنون للمارقين من أصحاب المال والجاه، ويثنون عليهم بالسنة والاقلام، ولا تظهر غيرتهم على الدين، إلا في تضليل حماة الدين، ونحوه تعالى أن خذلهم وكبتهم، وصرف قلوب الناس عما تزور أقلامهم وتفتري أسنتهم، هذا وإن الإسلام ليسكو اليوم من شيطان الافساد السياسي، مالا

يشكو من شيطان الإفساد الديني ، فقد غلب على مقام أولي الامر ، زعنفه من عبدة الطاغوت والشر ، جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وأرهبوا الأمة قتلاً وجباً ومصادرةً وتخويفاً ، يأكلون تراث الأمة أكلالاً ، ويحبون المال حباً جماً ، اذا دعوتهم الى الحق ولو امنك فراراً ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، وقد مكروا بأناس استخدموهم لغش المسلمين مكراً كباراً ، فاتبعوا من لم يزد ماله وجهه الا خساراً ، وكان من كيدهم ومكرهم ، وعند الله عاقبة مكرهم ، أنهم وقد عجزوا عن إسكان حركة الإصلاح ، وإسكات نداء دعائه حيّ على الفلاح ، أرادوا إفساد أمرها ، بتوسيدها الى غير أهلها ، من المنافقين المتزلفين اليهم ، الراضين ان يكونوا آلات في أيديهم ، فنصروا هؤلاء على أبناء بجدتها ، وآباء عذرتها ، كما وسدت صروف الزمان اليهم من الامر ، ما ليسوا له بأهل ، فذنت بذلك ساعة الأمة ، وقد جاء اشراطها ولا تلبث أن تأتي بغتة ، قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة » رواه البخاري في صحيحه .

هذا هو السر في تناقض بعض الصحف التي ظهرت بعد ظهور الفئة الباغية ، والجمعية الطاغية ، الاسلامية في الظاهر ، الاتحادية في الباطن ، إذ تمدح الاسلام وتنفر عن الاعمال التي تحييه وتطعن في القائمين بها ، وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقي الشقاق بين العاملين لها ، ويزاحم أهلها المصلحين ، وهم أعوان المفسدين ، ومنهم من تخدع رؤيته ، وتقتن خلايته ، ويفر بركائه أو تباكيه ، والمنافق يملك عينه فيكي بهما متى شاء فكم أذرى الدموع لهب مال وكم أبدي الخشوع لنيل جاه

ومنهم من لو علم المغررون بورقته، حقيقة حاله في علمه وعمله وعقيدته،
لؤلؤا منه فرارا، وأعرضوا ازورارا، واستصغروا أنفسهم استصغارا،
لتعجبهم باتباع كل ناعق، وعدم التزيل بين الصادق والمنافق، وستظهر
للجميع الحقائق، فخل الكذب وان طال قصير، ومصير المنافقين
شر مصير. وانما نخشى ان لا تظهر العبرة، الا بعد خراب البصرة، وأن
يأخذ الله المسلمين كافة، بما جتته تلك الفئة الباغية (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

ذلك بان الامة تحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضاً
وأصولها خمسة الديني والعلمي والاجتماعي والسياسي والمالي، وقد
تداعت هذه الاصول كلها في العالم الاسلامي، ولا يسهل اقلمة بعضها،
الا باقامة باقيها، لهذا أردنا عند ملاحتنا من الاستانة بارقة الامل في
الاصلاح السياسي، أن ننشيء فيها عملا كبيرا من الاصلاح الديني والعلمي،
الذي هو أكبر عون على غيره ولا سيما الاصلاح الاجتماعي، فعلمنا أن ما
لاح لنا كان برقا خلبا، وسرابا ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا، بل تبين لنا أن مثل ذلك البلاء النازل، الذي تراهي بصورة
الاصلاح الخلدع، كمثل ذلك المذاب الذي نزل بصورة المارض،
(٢٤:٤٦) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا،
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم ٢٥ تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم، كذلك يجزي القوم المجرمين).

أجل ان هذا العذاب، ليمثل ذلك الانقلاب، الذي حسبنا ان وراءه
ما نرجو من الاصلاح، فكان بسوء تصرف ذويه عين الافساد، وقد

٨ الخطر الأكبر على المسلمين (المنار ١ ج ١٦)

أُذِرْنَا أَلَمَةً سَوْءَ عَاقِبَتِهِ ، وَخَطَرَ مَغِيبَتِهِ ، فَمَارُوا بِالْأَنْذَرِ : (٣٠٥٤) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (ز) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (هـ) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي الْأَنْذَرُ (وَقَدْ هَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُوا الدُّبْرَ ، فَبِأَيِّ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ بَعْدَ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ ، فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ الْأَمْرُ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ وَالنَّظَرِ ، فَلَا مَنَاجَاةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَا مَفْرَ (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ) لَا أُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى قِيَامَةِ النَّاسِ كَافَّةً ، بَلِ أُرِيدُ قِيَامَةَ هَذِهِ الْأَمَّةِ خَاصَّةً ، فَذَا هِيَ فَقَدَتْ هَذَا الرَّمَقَ مِنْ اسْتِقْلَالِهَا ، وَزَالَ هَذَا الْإِذْمَاءُ الَّذِي تَتَرَدَّدُ بِهِ أَتْقَاسُهَا ، فَأَيُّ نَوْعٍ تَمْلِكُهُ بَعْدَهُ مِنْ أَنْوَاعِ إِصْلَاحِهَا ؟

فَلَيْسَ الْخَطَرُ الَّذِي نَخْشَاهُ الْيَوْمَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، هُوَ كَيْدُ الْمُفْسِدِينَ لِدَعَاةِ الْإِصْلَاحِ ، بَاغِرَاءِ غَيْرِ أَهْلِهِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ، لِمُعَارَضَةِ الْمُضْطَلَعِينَ بِالْقِيَامِ بِهِ ، وَاسْتِئْجَارِهِ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَيِّدِهِمْ عَلَى الصَّادِقِينَ ، مَعَ عَدَمِ تَمْيِيزِ الْكَثَرِينَ ، بَيْنَ الْحَقِّينَ وَالْمُبْطِلِينَ ، وَلَا نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ، وَأَمَّا الْخَطَرُ الْكَبِيرُ هُوَ إِفْسَادُ السِّيَاسِيِّ الَّذِي فَتَحَ عَلَيْنَا بَابَ الْمَسْأَلَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، فَبَدَأَ بِعَمَلِكَةِ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ الْأَفْرِيْقِيَّةِ ، وَثْنَى بُولَايَاتِ الدَّوْلَةِ الْأُورُيَّةِ ، وَيَخْشَى أَنْ يَثْلُثَ بِالْوَلَايَاتِ الْأَسْيُورِيَّةِ ، وَلَا يَنْفَعُنَا يَوْمَئِذٍ ظُهُورُ حُدُقِنَا وَكَذِبِهِمْ ، وَنَصَحْنَا وَغَشَمْنَا ، لِأَنَّ الْأَمْرَ يُخْرِجُ مِنْ أَيْدِينَا وَأَيْدِيهِمْ ، إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُنَا وَلَا يَرْجِمُهُمْ ، عَلَى أَنْ زَعَمَاءَ هَذِهِ النِّقْتَةِ ، وَمُبْسِلِي هَذِهِ الْأَمَّةِ ، لَاحِظٌ لَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا الْجَاهُ وَالْمَالُ ، فَذَا فَاتَهُمُ الْأَوَّلُ بِفَقْدِ الْإِسْتِقْلَالِ ، فَإِنْ لَهُمْ مِنَ الْآخِرِ مَا يَمْتَنِعُهُمْ بِسَائِرِ اللَّذَاتِ ، وَلَمْ يَدْرِءَ هَذَا الْخَطَرَ مُقَاوَمَةَ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ لَهُمْ ، وَأَنْزَاعِهِمْ تِلْكَ الْمَقَالِيدَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَمُدُّ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِمْ ، فَتَكُونُ الْكُرَّةُ

الثانية ، هي الطامة القاضية ؛ ولا يدروها من بعد ، مثل ما كان من قبل ،
وانما يرجى ان يدرأه البدار الى تقوية كل قطر من المملكة في نفسه ،
ونوط الدفاع عنه وإقامة العمران فيه بأهله ، وهو ما يعبرون عنه بالمداخلة المالية ،
والادارة الامر كزية ، ثم بناء المصلحة العامة على قواعد الصدق والاخلاص ،
فاذا لم تنفق الامة والدولة على هذا فلي الامة والدولة السلام .

(الدعوة الى انتقاد المنار)

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض في الاسلام هو سياجه وحفاظه
ان تعتدى حدوده بين أهله ، كما ان الجهاد سياجه وحفاظه أن يعتدي عليه غير
أهله ، وقد قصر المسلمون في الفريضة فكان عاقبة أمرهم ما نسمع ونرى ونذوق ،
فالمنار يدعو كل من يطلع عليه ويرى فيه خطأ أن يبينه لنا بالمشافة ان كان ممن
يقاننا ونلقاه ، والا فبالكتابة . والطريقة المثلى في ذلك أن يقال ان في صفحة كذا
من جزء كذا خطأ . ويبين ذلك الخطأ وصوابه بالدليل ، من غير استطراد ولا
تطويل ، ونحن نرجع الى الصواب ان ظهر لنا ، أو نبين ما عندنا في المسألة .
هذه هي طريقة الامر والنهي ، والتواصي بالحق والصبر ، لا ما يذهب اليه
أهل الاهواء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . وهو أنهم اذا رأوا
أو سمعوا - ولو كذبا - أن أخاهم أخطأ في شيء أشاعوا ذلك بين الناس بالقول
والكتابة فيدري بذلك الخطأ من يقونه دونه ، وربما كان ذلك منكرا أو شبهة على
الدين تعلق في نفس المستمع ولا يدري كيف يتقضى منها . وكثيرا ما يكونون هم
المخطئين . ومنهم من يصدق عليهم قول الشاعر :

إن يسمعوا الخير أخفوه وإن سمعوا شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

فمن ابتلي من أهل التقوى والاخلاص ، من هؤلاء الذين يؤسسون في صدور
الناس يذم أو يسب أو يطعن ، من يدعي عليه انه أخطأ ، فليقل له ان هذه غيبة
يفسق صاحبها ، لانصيحة يتبع قائلها ، فان كان فلان أخطأ فذكره بينك وبينه
فان لم يرجع فهو شيطان ، فأعرض عنه وتقل سلام محمد رشيد رضا الحسيني



فَتَاوَى الْمُبْتَائِنُ

فتحتنا بهذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماد من آخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه ورماد اجبتنا غير مشترك لئلا هذا ، ولما مهي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الجهاد أو القتال في الاسلام ﴾

(١ س) من صاحب الامضاء في فاينات (خراسان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى العلامة السعيد المرتضى ، السيد محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار الغراء بعد اهداء شكري اليه مما انعمت به من فيض دجلة تلك المجلة ، اني قرأت في مجلتكم الغراء ما يشمر بتزليل ما ورد في الجهاد من الآيات الكريمة على الجهاد الدفاعي فحسب دفعا لما أوردته الافرنج على دين الاسلام وما تقموا من فكبر سيفه وتتمره في ذات الله. وهذا وان كان له وجه وجيه بالنظر الفلسفي ، حيث ان العلة التي أوجبت الدعوة الى دين يراد به ترقية الانسان الى كافة السعادات الدنيوية والأخروية ، واخراج الناس كافة من الظلمات الى النور ، ومن الوحشية الموحشة الى المدنية المؤنسة ، ومن الشقاوة السكبري الى السعادة العظمى ، هي التي أوجب ابرامها ، والتي أوجب ابرامها ، هي التي أوجب اعلانها ، بحيث يصالح للبقاء الى قيام الساعة. والعقل السليم يفرق بين موجبات نشر دين من شأنه دفع ظلمة التوحش وطردها ، وبين ما لا يراد به الا التجاني عن الدنيا والفراغ للعبادة ولو في شعب الجبال ، ويلزم على الصانع بمثل هذا الدين اندفاع عن علوه وابقائه ، كما يلزم عليه الدفاع عن ابلائه واسماعه ، فمثل في عالم التشريع ، كمثل النور في عالم التكوين ، وكما ان النور يطرد الظلمة بسنابره ، فكذلك ذلك الدين طارد للوحشة بسنابره ، فهو من بدء ظهوره ظهر دافعا وهو كذلك الى الابد هذا هو الحق الحق بالتحديق لسكنه لا يلائم ظاهر معنى الدفاع ولا تقسيمهم الجهاد

(المجلد السادس عشر)

(٤)

(المنار ج ١)

الى دفاعي وابتدائي، ولا يزج علة الخصم في لججه وإيقاعه، ولا يوافق شواهد التاريخ وأدلة الاحكام وعناوين الفقهاء التي كلها منك بمسمع ومرأي ولو تركناها على ظاهرها فان تحقق معنى الدفاع بظاهرة يتوقف على سبق الخصم بالزاحمة وعليه فكيف يمكننا ان نقول ان الفرس والروم زاحوا محمداً وصحبه الكرام، عليه وعليهم السلام، وهم في مجبوحة الحجاز، حتى أوجب عليه وعليهم دفعهم الى حد الصين شرقاً وأفريقية غرباً . فيا عجيباً من الافرنج كيف بعد احتلال بلاد الاسلام وصلب رجالها واستحياء نساها أو ذبح أطفالها لا دنى قائدة اقتصادية ترجع اليهم من دون حق لهم عليه مشروعا تمدنيا بل دينياً، ولا بعد ضرب السيف بعد انعام الحجة وايضاح المحجة ونجيب المكلف بين الاسلام ونيل سعادته الابدية في اعقابه أو قبول أدنى جزية وصون حقوقه البشرية في انجاده مشروعا دينياً اسلامياً، مع ان ما هو عليه الآن من الترتي والتدن صدقة من صدقات الاسلام عليه بعد ما كان عليه من أخس مراتب التوحش. أرجو من فضيلتكم السامية بعد تجديد شكري اليكم بسط الكلام في هذا الموضوع بحيث تزج علة الخصم مع موافقته لظواهر الآثار

خادم الاسلام محمد هادي اليرجندي

من قطر قاينات من بلاد خراسان

(ج) لا يجهل أحد له نصيب ما من تاريخ الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لا أظهر دعوته الى الاسلام عاداه قومه وقاوموه وآذوه هو وكل من آمن به واتبعه، ولم يمسه دمه ولا دم أحد من أصحابه الا حمية عشائهم أو مواليهم لهم بغيره النسب أو الولاء وتخصيتهما . وان تلك الحماية لم تمنع الايذاء بل اضطرت قريش أبا طالب عم النبي (ص) ان يخرج بأهل بيته مع ابن أخيه من مكة الى الشعب لاصراره على حمايته وعدم تمكينهم منه ، ثم ما زالوا يكيدون ويمكرون حتى ائتمروا بالنبي (ص) ليقتلوه بصفة يضع بها دمه في كل القبائل بأن يختاروا من كل قبيلة رجلاً يضربوه بسيوفهم في آن واحد ، فأطلعه الله تعالى على كيدهم ، وأذن له بالهجرة من بلدهم ، راجع تفسير قوله تعالى (٨ : ٣٠) واذا يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) هاجر النبي (ص) من مكة الى المدينة وهاجر السابقون الاولون من أصحابه فأواهم اخوانهم الانصار الذين كانوا أسلموا في موسم الحج بمكة وبايعوا النبي (ص) على ان ينعوه من كل معتد كما ينعون ويحمون أنفسهم وأولادهم ، وبذلك صار حرباً للعرب عامة ، وأهل مكة خاصة ، أي صاروا يعدونه محارباً ويهدم محاربين بحسب

العرف العام في ذلك الزمان ، فكان المؤمنون مع المشركين يومئذ كالعثمانيين مع البلغانيين اليوم ، لا يقدر أحد أن ينال من الآخر نيلا فيقصر فيه . بل كانت العرب قبل البعثة وفي عهدهما في غزو دائم و قتال مستمر ، لا يحصم قبيلة من قبيلة الا بأسها وقوتها ، أو المعاهدات التي كانت تقي بها ، فكانت كل قبيلة تتوقع القتال في كل أوان ، من كل قبيلة ليس بينها وبينها عهد أو حلاف ، فالحرب (مملنة) عرفا في كل زمان ومكان ، الا ما كان لهم من التقاليد المتبعة في الاشهر الحرم والبلد الحرام ، ومن الين الحلي ان البدء بالقتال ، لا يبعد من الاعتماد في مثل هذه الحال ، ومع ذلك كان المشركون هم الذين يعتدون على النبي (ص) والمؤمنين ، ويحزبون عليهم الاحزاب ، فكان قتاله (ص) كله دفاعا حتى ما كانت صورته هجوما ، وكانت القاعدة الاساسية للحرب قوله تعالى (٢ : ١٩٠) وقتالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

ما كان النبي (ص) يطلب بالقتال ملكا وقد رغبوا اليه في مكة ان يجملوه ملكا عليهم بشرط أن يترك دعوته ، وعرضوا عليه كل ما يقدرن عليه من مال ومتاع ، فلم يقبل ذلك وهو في حال الضعف والاحتياج ، وكان دفاعه في أكثر سني الهجرة دفاع الضعف للقوة ، الى ان أنظره الله الظفر الاكبر بفتح مكة ، وأظهر الآيات على حرصه (ص) على حقن الدماء ، وكرامته للقتال ، وضائه بصالح الحديبية ، وهو في قوة ومنعة ، على ما في ذلك من الشروط الثقيلة التي كرهاها يومئذ جميع الصحابة ، حتى تراهى للنبي (ص) أنهم خرجوا أو كادوا يخرجون من الطاعة . فالقتال الديني الحقيقي هو ما كان دفاعا عن الدعوة وأهلها ، أو حمايتها وحمايتهم في نشرها وتعميقها ،

أما غير العرب فلم يتصد النبي (ص) الا الى قتال الروم منهم في غزوة تبوك وكان سببها انه بلغه ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وقدموا مقدماهم الى البلقاء لقتال المسلمين باغراء متصهرة العرب . ولولا ذلك لما أمر بالخروج في ذلك الوقت الذي كان المسلمون فيه في عسرة وجحاة وقد أدركت ثمارهم فاضطروا الى تركها والحر شديد والشفة بعيدة ، والعدد كثير . ولهذا كانت هي الغزوة التي ظهر فيها صدق الصادقين وفاق المنافقين .

على ان نشر الدعوة في ذلك العصر كان متعذرا بغير قوة يأمن بها الدعاة على أنفسهم ، وكان جيران جزيرة العرب من الروم في الشام ومصر والفرس والعراق قد اعتدوا على بعض أهلها وأخضعوهم لسلطانهم ، فلما اجتمعت كلمة أكثر العرب في الجزيرة

٢٨ شرط القتال في الاسلام هبجوما ودفاعا (المار ج ١ م ١٦)

بجامعة الاسلام، صار أولئك الحيران عدوا لهم، وكان العدو حربا لعدوه حيث كان، فكان لا مندوحة للمسلمين - والحال ما ذكرنا - ان يؤيدوا نشر الدعوة بما يستطيعون من قوة، ولسكنهم لا يستعملون القوة الا عند الحاجة أو الضرورة، فكانوا يرضون على الناس الاسلام فان أجابوا كانوا مثلهم، وألا اكتفوا منهم بأخذ جزية قليلة تكون اكتفاء شرهم، وتركوا لهم الحرية في أنفسهم وأموالهم ودينهم، حتى أنهم لا يجبرونهم على التحاكم اليهم، وان تحاكموا اليهم ساوهم في ذلك بأنفسهم، فلم يكن الغرض من هذا الا ان تكون دعوة الحق في حماية قوة يمكن بها إظهارها، كما يتقدها ويدين الله بها أوليائها، من غير اعتداء على دين أحد ولا ماله، مادام محافظا على ذمته وعهده، فهكذا كانت سيرة الخلفاء الراشدين في فتوحاتهم، وأما من بعدهم من خلفاء العرب وملوك الطوائف في عهدهم، فقد شاب فتوحاتهم لنشر دعوة الاسلام، شائبة حب سمة الملك وعظمة السلطان، ومع هذا قال غوستاف لوبون من أكبر فلاسفة الاجتماع والعمران وعلماء التاريخ من الافرنج «ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب» هذا يحمل ما نفهمه من آيات كتاب الله عز وجل، وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو مبني على قواعد العدل والرحمة، وما شرع لاجله الدين من اصلاح الامة، وهو في الاسلام اصلاح البشر كافة، ولنا كفيرونا ممن يغيرون ويبدلون، ويحرفون ويؤولون، لدفع ما يمترض به المعتضون، فان ديننا ليس كساير الديان التي يدافع عنها أهلها كما يدافع المحامي عن موكله المبطل بتعويبه باطله، وتصويره بغير صورته، وانما دفاعنا عن ديننا هو اظهار حقيقة، وإزالة ما عارض من التوبة والتلبس عليه، ونحن نعلم ان المعتضين عليه فريقان لا ثالث لهما الجاهلون بحقيقته، والمهادنون له للمصيبة الدينية، أو المطامع السياسية، وهؤلاء يطعنون فيما يرونه من عاصنه بأشد مما يطعنون فيما يتوهمون من مساويه. وغرضهم من ذلك إضعاف أهله بإزالة ثقتهم به ثم بأنفسهم. ومن ذلك طعنهم في مسألة الجهاد وهم لا يطعنون في النوراة التي تأمر باستئصال الأعداء واصطلامهم من الارض، كما بينا ذلك في المنار مراراً ومن أوضحها ما رددنا به على لورد كرومر. ولو أن المسلمين عملوا بأحكام القتال كما أمر الله ورسوله لكان سلطانهم في علو دائم، ومد لا جزر معه، بما يدعمه من العدل والرحمة، مع استكمال أسباب القوة. فالواجب على الدولة الاسلامية ان تكون أقوى دول الارض وان تقيم دعوة الاسلام ونحميها بالقوة، وقد يكون ذلك بالدفاع وبالهبجوم، مع مراعاة قاعدة (٢: ٢٥٥ لا إكراه في الدين)

﴿ اسئلة من الشيخ راجب القباني في بروت ﴾

لقب الامام

(س) تطلقون على المرحوم الشيخ محمد عبده لقب الاستاذ الامام و ترى بعض المتراضين عليكم يقولون ان هذا اللقب لا يجوز اطلاقه الا على المجتهدين أصحاب المذاهب المتبعة (ج) ان هذا اللقب قد أطلقه الناس على كثير من العلماء في القرون الاخيرة حتى في هذا القرن وما قبله كما ترونه على الكتب المطبوعة في مصر من تأليف علماء الازهر وغيرهم الذين لم يدعوا ولم يدع لهم أحد الاجتهاد ولا كانوا مظلة لدعواه . واشهر اطلاقه على بعض العلماء في القرون الوسطى ممن لا يعدونهم من المجتهدين بل يذكرونهم في طبقات المقلدين كالفخر الرازي الاشعري الشافعي فهو الذي ينصرف اليه لقب الامام اذا أطلق في كتب اصول الفقه والكلام والمنطق التي ألقت بعده . وكان تاج الدين السبكي يطلق على والده لقب الشيخ الامام كما ترونه في كتبه كجمع الجوامع وطبقات الشافعية وسبقه الرازي الى ذلك

﴿ قول الشيخ محمد عبده في الربا ﴾

(س) يزعم بعض الناس ان الشيخ محمد عبده فتح بابا للقول بجواز الربا اذا كان غير أضعاف مضاعفة

(ج) نحن ما رأينا هذا الباب فدلونا عليه في كلامه وبينوا لنا الباطل منه فنشره للناس ، لازالة الالتباس ، ونحن نعلم ان بعض أعداء الإصلاح يطعن في الرجل كذبا وبهتاناً اتباعاً للهوى ، فلا تفتروا بأقوال أمثال هؤلاء الطعانين العمازين

﴿ التصوير الحيواني ﴾

(س) لم يقنع الناس بالاستدلال على جواز تصوير الحيواني بأن المملول يدور مع العلة وجودا وعندما قائم يقولون ان العلة لا تزال موجودة فنزغ اليكم بالفصيل (ج) ليس عندنا تفصيل نوافيكم به ولسنا لا وكلاء على الناس فيما يرونه ويمتقدونه ونحن نعلم ان من الناس من هو متعصب بأن ما شأبه للدين فيه من أمر هذه الصور والتصوير لا عس الدين كالذي يفعله بعض جواسيس الحرب وكصور المجرمين التي تستعين بها الحكومة على معرفتهم وكالصور التي يستعان بها على تعليم التشریح والتاريخ الطبيعي والنباتية فان كثيراً من الحيوانات التي نرى أسماءها في كتب اللغة لا نعرف مسماها اذا رأيناها مالم نكن رأينا صورها . فاذا كان الناس الذين يهينهم السائل يقولون ان علة تحريم التصوير متحققة في هذه الامثلة جدلاً وعناداً أو رأياً واعتقاداً فهم لا يخاطبون لانهم لا يفقهون

میزان الجرح والتعديل^{*}

٢

(درء وهم واشتباه)

يقول بعضهم : ان مسلما روى عن ابن عباس انه قال في نجدة الحروري :
لولا ان أردده عن نثن يقع فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين : قال النووي :

كان ابن عباس يكرهه لبدعته وهي كونه من الخوارج
والجواب انه لا يلزم من كراهة الفرد كراهة المجموع ، والا لما
خرج لثقاتهم وعلمائهم الشيخان وغيرهما ، وهل يؤخذ الجمع بجريرة الفرد ؟
على ان نجدة ليس من رجال الرواية عند المحدثين ، فقد ضعفه الذهبي في
ميزان الاعتدال وقال عنه : ذكر في الضعفاء للجوزجاني ، على ان الحال
وصل اليه في قومه أن يختلفوا عليه وينزوه بالكفر كما تراه في كتاب
الفرق للإمام أبي منصور البغدادي ، والملل والنحل للشهرستاني وغيرهما ،
فلا نعمة عين له - كما قال ابن عباس - ولو كان يكره كل خارجي لبدعته
لما أخرج لاثباتهم أئمة السنة في الصحاح والمسانيد ، ويكفي ان الامام
مالك رضي الله عنه عد ممن يرى رأيهم كما رواه الإمام المبرد في كامله^(١)
ومن عزالك ما يأثره ، وأراك مصدره ، فقد أوقفك من المسالك على
الصراط المستقيم

ومن الغريب أن يستدل بعضهم على معاداة المبدعين بأمر النبي
صلي الله عليه وسلم بهجر الثلاثة الذين خلفوا ، ورفض تكليمهم حتى

٥ (عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي

(١) جزء ٢

تنب عليهم ، مع انه لا تناسب بين دليله والدعوى بوجه ما - لأن البحث في الرواة المجتهدين الثقات المتين الذين ما بنذ السلف مرويههم لرأي رأوه ، أو مذهب اتحلوه ، فهل كان المخلفون كذلك ؟ وما المناسبة بين قوم هجرهم النبي صلى الله عليه وسلم لذنوب محقق اعترفوا به حتى تيب عليهم - وقوم لا يرون ما هم عليه الا طاعة وعقداً صحيحاً يدان الله به ، وتنازل النجاة والزلفى بسببه ، فالانصاف يا اولي الاباب الانصاف ، وحذار من الجري وراء التعصب والاعتساف

غريب امر المتعصبين ، والغلاة الجافين ، رآهم سراعاً الى التكفير والتضليل ، والتفسيق والتبديع ، وان كان عند التحقيق لا اثر لشيء من ذلك الا مادعاه اليه الحسد ، او حمل عليه الجمود وضعف العلم ، وجهل مشرب البخاري ومسلم ، واصحاب المسانيد والسنن هداة الأمة ، ولا قوة الا بالله

(ثمرة الرفق بالمخالفين)

قال بعض علماء الاجتماع : يتخلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والفاية . وهذا الاختلاف طبيعي في الناس ، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا ، ومن عادة صاحب كل فكر ان يحب تكثير سواد القائلين بفكره ، ويمتقد انه يعمل صالحاً ، ويسدي معروفات ، وينقذ من جهالة ، ويزع عن ضلالة ، ومن العدل ان لا يكون الاختلاف داعياً للتنافر ما دام صاحب الفكر يمتد ما يدعو اليه ، ولو كان على خطأ في غيره ، لان الاعتقاد في شيء اثر الاخلاص ، والمخلص في فكر ما اذا اخلاص فيه يناقش بالحسني ، ليتغلب عليه بالبرهان ، لا بالظن

وأغلاظ القول وهجر الكلام ، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافق على فكره ريثما يهتدي الى ما يراه صوابا ، ويراه غيره خطأ ، او يقرب منه ، وفي ذلك من امثال الأوامر الربانية ، والفوائد الاجتماعية ، الا يحصى . فان اهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة الا اذا قل تعاديتهم ، واتفقت على الخير كمتهم ، وتناصفوا وتعاطفوا ، فكيف تريد مني ان اكون شريكك ، ولا تعاملني معاملة الكفو على قدم المساواة .
دع مخالفك - ان كنت تحب الحق - يصرح بما يعتقد ، فاما ان ينعك ، واما ان تقنعه ، ولا تعامله بالقسر ، فما قط انتشر فكر بالعنف ، او تفاهم قوم بالطيش والرعونة . من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن ، يخرج فيخرجه عن الأدب ويحوجه اليه - لان ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم ، وعلت في الآداب مراتبهم . وبعد فان اختلاف الآراء من سنن هذا الكون ، وهو من أهم العوامل في رقي البشر ، والأدب مع من يقول فكره باللفظ قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتم . والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا العالمين ، والمهوسين لا المعتدلين اه مع تلخيص وزيادة ،

ولا يخفى ان الاصل في هذا الباب قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » وقوله سبحانه « وقولوا للناس حسنا » وقوله جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولا تنس ما أسأنا عن السلف في تفسيرها .

(حملة الاعلام المحققين على المتفهمة المكفرين)

لما استفحل الرمي بالتكفير والتضليل لخيار العلماء في منتصف قرون الألف الأولى من الهجرة ضجت عقلاء الفقهاء ، وصوبت سهام الردود في وجوه زاعمي ذلك ، حتى قالت الخفية (عليهم الرحمة) مامعناه : لو أمكن ان يكفر المرء في أسر من تسعة وتسعين رجلاً ، ومن وجه واحد لا يكفر يرجع عزم التكفير على التكفير لخطره في الدين

ولم يشتد الرمي بالتكفير والارهاق لاجله ، والارجاف به ، في عصر من العصور مثل القرن الثامن للهجرة . ومن سبر تاريخ الحافظ ابن حجر المسمى (بالدرر السكينة في أعيان المائة الثامنة) أخذه من ذلك المقيم المقعد ، اذ يرى ان العالم الجليل الذي هو زينة عصره ، وتاج دهره ، كان لا يأمن على نفسه من الألف عليه . والسعاية به ، فيما يكفره ويحل دمه ، حتى صار يخشى على نفسه من أخذت منه السن ، واقعده الهرم ، وأفلجته الشيخوخة ، ولا من راحم أو منصف . كما نقرأ ذلك في ترجمة علاء الدين العطار تلميذ الإمام النووي ، وأنه مع زمائته ، وكونه صار حلس بيته ، يتأبط دائماً وثيقة أحد القضاة بصحة إيمانه وبرأته من كل ما يكفره ، ولقد أريق دماء محرمة ، وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والاهانات باسم الدين . درءت شيوخ وشبان أعواما وسنين ، حتى عجب لسان حالها وقالها بانداء الى قاطر الارض والسموات ، بكشف هذه النعم والظلمات ، ولم يزل سبحانه يتلي لها ويستدرجها في غيها ، ولم تحسب للايام ماخبي لها في طيها . الى ان امتلأ اناءها ، وحن حصدها وافناؤها ، فأخذها الله

٣٤ الاسراف في تكفير العلماء وغيرهم وسفك دماهم (المارج ١ م ١٦)

وهي ظالمة جائرة ، ودارت على دولتها الدائرة ، ومحق الله بفضلها تلك الدولة المجنونة الجاهلة ، وأورثها للدولة الصالحة العاقلة ، فأمنت الناس على انفسها ودمائها ، وذهبت عصبة الجمود بزبدتها وغنائها ،

سيقول بعض الناس ممن نغره القشور ، ولم تقف مداركه على لباب روح العصور : ان تلك الدماء المراقبة ، والارواح المهذرة ، لم يحكم عليها الا بالينة والشهود ، التي يمثلها تقام الحدود ، وهل بعد ذلك من ملام أو جحود ؟ يقول ويجهل أو يتجاهل ان التعصب يحمل على الاخذ بالظنة ، أو الايقاع بالشبهة ، وان المتطوعة بالشهادة قد يحملهم على اختلاقها ظن الاجر بنصرة الدين ، بقتل هؤلاء المساكين ، لاسيما اذا دفعوا بتشويق المتصوحين والمتفقرين^(١) ، والحشوية البكائين ، احتيالا وقنصا للمغفلين ، ولقد استفيض عن كثير من هؤلاء الضالين المضلين ، الاغراء بقتل الداعين الى الكتاب والسنة والمجاهدين في الاصلاح العاملين ، على ان قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي الا بعد تعرفه من اطرافه ، ومراجعة عدة اسفار للوقوف على كنهه وحقيقته ، والاشراف على غثه وسمينه ، ووزنه بميزان العقول السليمة ، والقواعد الاجتماعية المعقولة - كما أشار اليه الامام ابن خلدون في مقدمته نحن لم نصم أعمال أولئك بالظلم والجور والبغي الا لما فضح نبذاً منها الامام زين الدين ابن الوردي الشهير صاحب البهجة ، واللامية ، والديوان ، والمقامات ، فقد شفى بالحقيقة الأوام ، وأوضح عن مكر أولئك بالتمويه والايهام ، في مقالة بديعة أنشأها في القاضي الرباعي المالكي^(٢) سماها (الحرقه

(١) المتمدن كالمتمسك مدعي الفقراي النصف وليس من أهله (٢) راجعها في ص ١٩٠ من المجموعة الادبية التي طبعت في مطبعة الجوائب عام ١٣٠٠ ، مشتتة على لامية العرب وشرحها وشرح المقصورة الدريدية ، وديوان ابن الوردي ، وديوان الخشاب ورسائله

للخرقة) ولا بأس بنقل جمل منها تأييداً لما قلناه، قال رضي الله عنه :
« أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على المكاره سواء، والصلاة والسلام
على نبيه محمد الذي خاف مقام ربه وعصم من اتباع هواه، وعلى آله
وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الأمة قواه، وسامت صدورهم من
فساد النيات وإنما لكل امرئ ما نواه، فإن نصيحة أولي الأمر تلزم،
والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم، والمتكلم لله تعالى مأجور،
والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الإسلام عبادة،
والنثر والنظم للذب عن أهل الإسلام من باب الحسنى وزيادة، وجرحه
الحاكم الأعراض بالأعراض صعبة، إذ نص الحديث النبوي أن حرمة
المسلم أعظم من حرمة الكعبة، ومخرق خرقة مذبوم، ولحم العلماء مسموم،
« وهذه رسالة » أخلصت فيها النية، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية،
أودعتها من جوهر فكري كل ثمين، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء
جنسي مناداة اللحم السمين، لكن جنبتها فحش القول إذ لست من أهله،
وخلقتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله، ورجوت بها الثواب،
نصرة لاه ظلوم، وغيره على حملة العلوم، وسميتها : (الخرقة للخرقة) فقلت:
اعلموا يا ولاية الأمر، ويا ذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر^(١) للأمة،
ووفقكم لدفع الأصر وبراءة الذمة، إن حلب قد نزعت للزبدية، ووقعت
من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة، قاض سلب الهجوع، وسكب
الدموع، واخاف البسب، وكدر الشرب، بجرائته التي طمت وطمت،
وعاميته التي عمت وغمت، وفتنته التي بلغت الفراق، وأسهرت ألف

(١) كانت مصر في عهد المؤلف وهو القرن الثامن عاصمة دولة المماليك

٣٦ شكوى ابن الوردي من الرباحي (المنارج ١٦٣١)

راقد ، ووقاحته التي أدهشت الالباب ، وأخافت النظف في الاصلاب ،
فكم لطخ من زاهد ، وكم أسقط من شاهد ، وكم رعب برياء ، وكم قرب
جريا ، وكم سعى في تكفير سليم ، وكم عاقب بعذاب أليم ، وكم قلب ذائب ،
بنائبة توسط بها عند النائب ، فامتعت الامراء عن الشفاعة ، وظنوا هم
والنائب ان هذا امثال لأمر الشرع وطاعة ،

يا حامل النائب في حكمه ان يقتل النفس التي حرمت
غششته والله في دينه بشراك بالنار التي أضرمت
(الى ان قال الزين ابن الوردي) ثم انه فسق مفتيا في الدين ، وفضح
خطيبا على رؤوس المسلمين ، (ثم قال) يجب اثبات الردة والكفر ، كحب
الدناير الصفر ،

حاكم يصدر منه خلف كل الناس حفر
يتمنى كفر شخص والرضا بالكفر كفر
(ثم قال) اذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الاسود ، وأنياب
الافاعي السود :

ادركوا العلم وصوروا أهله من جهول حاد عن تحيله
انما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله
(ثم قال) ما أقدره على السفير ، وما أسهل عليه التفسير ، وكم
دعى الى بابل فما ارتاح الى الباب ، وزراه حيران لعدم الرقة فاذا قيل له
فلان قد كفر طاب ، يحبس على الردة بمجرد الدعوى ، ويقوي شوكرته
على أهل التقوى ، قد ذلل الفقهاء والاختيار ، وجراً عليهم السفهاء والاغيار ،
يحبس في الردة من شاء بغير شاهد

(المنارج أم ١٦) نقل الشيرازي الاسراف في تكفير العلماء وغيرهم ٣٧

لا كان من قاض حكي ال فقاع جدّ بادر
أراح الله من تعرضه ، وصان عراض الاعراض عن تعرضه ، يقصد
بذلك أهل الدين ، والقراء المجودين ،
جرحت الأبرياء فأنت قاض على الاعراض بالاغراض ضاري
ألم تعلم بأن الله عدل « ويعلم ما جرحتم بالنهار »
هذا بعض ماجاء في رسالة الامام ابن الوردي التي هي أشبه بمقامة
بديعية ، وكلها حقائق صادقة ناطقة بما كان عليه تعصب قضاة ذاك الوقت
ولا سيما المالكية منهم . ولقد كان قضاة المذاهب يحلون الامر في التعزير
والتأديب الى القاضي المالكي لما اشتهر في الفقه المالكي من مضاعفة
النكال ، وشدة التأديب في باب التعزير ، اذ بسط للقاضي يده فيه بسطا
لم يوجد في مذهب غيره ، فلذا كان محبو الانتقام والتشفي ، يعمدون
الى احالة القضية الى القاضي المالكي لما يعلمون ما وراء قضائه - مما فصل
بعضه الامام ابن الوردي كما قرأت - على ان الامر في التعصب لم يقف
عند القاضي المالكي وحده ، لتعصب ضده ، وانما كان هو الاقوى تعصبا ،
والاشد تصلبا ، والا فان مظهر ذاك العصر كان التعصب للجميعهم ، فقد
حكي الشيخ الشيرازي رحمه الله تعالى في مقدمة طبقاته الكبرى المسماة
بلواقح الانوار ماثاله : « وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع
العمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة موهمة للتكفير ، فأفتى
علماء مصر بتكفيره ، فلما أرادوا قتله قال السلطان حقمق : هل بقي أحد
من العلماء لم يحضر ، فقالوا نعم الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج ،
فأرسل وراءه فحضر ، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان ، فقال

٣٨ تكفير القاضي عياض والغزالي والسبكي (المنازع ١ م ١٦)

الشيخ: ما لهذا، قالوا: كفر، فقال: ما مستند من أفتى تكفيره، فبادر الشيخ صالح البلقيني من مشاهير الشافعية — وقال قد أفتى والذي شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير، فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه: يا ولدي أريد أن تقتل رجلاً مسلماً موحداً يحب الله ورسوله بفتوى أريك؟ حلوا عنه الحديد، فجردوه وأخذوه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر، فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه وقد غدا الشعراني من الاعلام الذين أكفرهم الجامدون المتعصبون ما يقرب من الثلاثين (فمنهم) القاضي عياض أتهموه بأنه يهودي للملازمة بيته للتأليف نهار السبت وذكر ان المهدي قتله (ومنهم) الامام الغزالي كفره قضاة المغرب، وأحرقوا كتبه، (ومنهم) التاج السبكي روه بالكفر مراراً وسجن أربعة أشهر^(١)، وكل هذا انما كان بزعم المتعصبين بشهادات وأقضية وفتاوي، ولكن سرعان ما فضحهم التاريخ، وكشف عوارهم كما حكاه الشعراني وغيره، والحمد لله الذي جعل الباطل زهوقاً وهكذا يمر بتواريخ تلك القرون ما لا يحصى من حوادث من أقيمت عليهم الفتن، واتهموا بما اتهموا به، مع ان الحدود تدراً بالشبهات، ونعني بالحدود مانص عليه في الكتاب العزيز والسنة الفراء، فاذا كانت في تلك المكانة وقد شرع فيها محاولة درءها بالشبهات، فكيف بحدود لا سند لها الا بالاجتهاد، وليس لها أصل قاطع، ولا نص محكم، فلا ريب انها أولى بالدرء، وأجدر بالدفع، ولا يدري المرء ما الذي حملهم على نسيان هذه الموعظة حتى عكسوا القضية، وأصبحوا يكبرون الصغير،

(١) ذكر السبكي محنته هذه في آخر منظومته في الفقه، عندي الكراسة الاخيرة منها

(المنارج ١ م ١٦) القضاء في مصر والشام للشافعي الى عهد الملك الظاهر ٣٩

ويعظمون الحقير ، ويهولون الامور ، ويدعون بالويل والشبور ، مما لا يقومون بعشره للمنكرات المجمع عليها ، والكبائر التي يجاهر بها ، فلا حول ولا قوة الا بالله

ولما تشددت القضاة المالكية في هذا الباب ، اصبحوا هدفًا لأولي الالباب ، حتى قال الامام ابن الوردي في ذاك القاضي المتقدم الرباحي : ان المالكية بدمشق كتبوا اليه يامغلوب ، لقد بفضت ، مذهب مالك الى القلوب ، وقطعت المذاهب الاربعة عليه بالخطا ، وزالت بهجته عند الناس وانكشف الغطا ، الخ . والسبب في ذلك ما ابتدعه الملك الظاهر برقوق من توظيف قضاة أربعة على المذاهب الاربعة مما لم يعهد قبله في دولة من الدول ، حتى نشأ من ذلك مانقه عليه الأعلام ، وعدوه من التفرقة في الاسلام ، قال التاج السبكي في طبقاته ^(١) في ترجمة قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي المتوفى سنة ٥٦٦ مأمثاله : وفي أيامه جدد الملك الظاهر القضاة الثلاثة في القاهرة ، ثم تبعها دمشق وكان الامر متمحضا للشافعية فلا يعرف ان غيرهم حكم في الديار المصرية منذولها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة ٢٨٤ الى زمان الظاهر إلا أن يكون نائب يستنيبه بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة ، وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المشار اليه الا شافعي غير التلاشاعوني التركي ، الذي وليها يوميات وأراد أن يحدد في جامع بني أمية اماما حنفيا ، فأغلق أهل دمشق الجامع وعزل القاضي ^(٢) (قال السبكي) واستمر

(١) جزء (٥) صفحة (١٣٤) (٢) تأمل هذا التعصب واسترجع وحوقل أين غاب عنهم فضل سائر الأئمة المبتوعين الأربعة وغيرهم وكيف نسوا ان الناس عيال عليهم تستمد من بركة فقهم واستنباطهم وتأصيلهم وتقريرهم ؟ ما أجعد قوما =

٤٠ جمل السلطان سليم القضاء للحنفية بمصر والشام (المراجع ١ م ١٦)

جامع بني أمية في يد الشافعية — كما كان في زمن الشافعي رضي الله عنه (قال) ولم يكن يلي قضاء الشام والخطابة والامامة بجامع بني أمية الا من يكون على مذهب الاوزاعي الى ان انتشر مذهب الشافعي ، فصار لا يلي ذلك الا الشافعية (ثم قال السبكي) وقد حكى ان الملك الظاهر رؤي في النوم فقيل : ما فعل الله بك ، قال عذبي عذابا شديداً يجعل القضاة أربعة ، وقال فرقت كلمة المسلمين « اه ولا يخفى على ذي بصيرة ما حصل من تفرق الكلمة ، وتعدد الامراء ، واضطراب الآراء ، وقد قال أبو شامة لما حكى ضم القضاة ، انه ما يعتقد ان هذا وقع قط : قال السبكي : وصدق فلم يقع هذا في وقت من الاوقات ، (قال) وبه حصلت تعصبات المذاهب ، والفتن بين الفقهاء : فانه يؤيد ما قدمناه من اتخاذ هذه آلة للفتن والتشفي من المخالفين ، حتى أدال الله من تلك الدولة للسلطان سليم خان ، فنسخ كل ذلك ، وقصر الامر على قاض حنفي واحد ، ولا ريب ان هذا كان من النعم الكبيرة ، اذ قمت به قن خطيرة ، وحسنت به شرور وفيرة ، نعم لم يزل في الامر حاجة الى الكمال ، وهو سعي أولي الحل والمقد بعقد مؤتمر علمي من كبار فقهاء المذاهب المعروفة ، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الأئمة الاربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر ، ومشى مع المصالح والمنافع ، ودفع المضار في أبواب المعاملات ، فبذلك تظهر محاسن الدين في الاقضية والاحكام ، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان الى قيام الساعة وساعة القيام ، وان اليوم الذي تحقق فيه هذه الامنية لهو أسعد الايام ، والمستعان بالله ذي الجلال والاكرام اه

== يزعمون انهم تعبدوا بمذهب واحد أو اتباع امام واحد ، أو ما علموا ان كلهم من رسول الله ﷺ ، وان الله تعالى اتما تعبد الناس بنزله الكريم ، وهدي نبيه المعصوم

(المراجع ١ م ١٦) نقد تاريخ آداب اللغة ازيدان ٤١

نظرة في الجزء الثاني*)

﴿ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

٢

(الخطأ في النقل)

قد اخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين اما بتصرفه فيها تصرفا افسد معناها
واما تحريف الكلم واما بنقلها عن نسخة محرفة من غير تمحيص لها . فمن ذلك
(١) قوله في ترجمة سلم الحاسر « هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي
ابي بكر الصديق »

فسالم الحاسر هو (سلم) بفتح السين وسكون اللام . فمن اين جاء للمؤلف ان
يقال في اسمه سالم ايضا وليس سلم مجهولا حتى يشبهه في اسمه
منشأ هذا التحريف الذي وقع فيه المؤلف ان نسخة تاريخ ابن خلكان
المطبوعة كتب فيها سلم بالف توهمها من النسخ الاصيل أن الالف محذوفة كما تحذف
في (القسم والحرث) فاثبتها وطبعت النسخة على هذه الصورة خطأ وفي نسخة
ابن خلكان هذه ذكر اسم (سلم) منظوما في الشعر في قول ابي القتاتبة له
تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اغناك الرجال
ونحن لا نشك ان المؤلف قرأ ترجمة (سلم) في الاغاني وفيها وقع اسمه منظوما
في غير موضع فمن ذلك قول ابي القتاتبة فيه

أما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوي سلم درك
وله فيه وقد حبس ابراهيم الموصل
سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصل فالعيش سر
وقول ابي محمد الزبيدي فيه

*) بقلم الاستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري

(المجلد السادس عشر)

(٦)

(المراجع ١)

٤٢ خطأ جرجي زيدان في النقل (المارج ١ م ١٦)

عق سلم امه صفرا و ابا سلم على كبره
ومن هجاء ابي الشمقمق فيه

(يا أم سلم هداك الله زورينا)

وقول مروان ابن ابي حفصة فيه

اسلم بن عمرو قد تعايطت غاية تقهر عنها بعد طول عنائكا
وقول أشجع السلمي يرثيه

يا سلم ان أصبحت في حفرة موسدا توبا وأحجارا
فرب بيت حسن قلته خلقته في الناس سيارا

فهو عند هؤلاء الشعراء المعاصرين له اسمه (سلم) فحسب . ويجوز عند مؤلفنا ناسخ
ابن خلكان أن يسمى (سالما) أيضا فليختر القارئ لنفسه ما يحلو

(٢) ومن خطئه في النقل قسمة اسم رجل واحد على مسمين

فذكر في ترجمة الصولي (ص ١٧٥) أن له كتابا اسمه الاوراق وهو في دار
الكتب الخديوية، وذكر ممن ترجم له هذا الكتاب احمد بن يوسف بن صبيح فقال
« واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس
وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره »

والحقيقة ان الثاني هو عين الاول ومن يراجع الكتاب يعرف ذلك .

وهو احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح . ويتبين هذا ايضا من خلال كلام
مؤلفنا اذ ذكر احمد ثم ابن صبيح ثم قفى بذكر توقيعات احمد ورسائله وشعره .
فلو كان ابن صبيح غير احمد فما الداعي لفصل توقيعات احمد عن ترجمته

ولو فرضنا ان المؤلف يريد بان صبيح جده القاسم فذلك لم يكن كاتب دولة بني
العباس بل كان يكتب لبني امية وللمنصور في بده خلافته ولم تطل ايامه ، وليس هناك
في الكتابة وانما ذكره الصولي مع من ذكره من آل احمد بن يوسف

(٣) ومن خطئه في النقل بتصرفه في عبارة المؤلفين قوله في ترجمة ابن الرومي

صفحة (١٥٨)

« اشتهر بالتوليد في الشعر لانه اتي بكثير من المعاني لم يسبق اليها : ومن مميزاته

انه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلا »

ومن عبارة المؤلفين في ذلك مقاله صاحب معاهد التنصيص

« هو ابو الحسن صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يفوص على

(المنارج ١٦ م) ابن الرومي . المستعمل من الالفاظ العربية ٤٣

المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن قالب وكان اذا اخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية «
وقال ابن خلكان

« صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يفوس على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبق في بقية «

فترى ان عبارة ابن خلكان اجود في تصوير الشاعر وعنه نقل صاحب مهادد التخصيص مع تفسير قليل

فراى مؤلفنا ان ينقل عنهما بتعبير آخر ولكن تغييره شذعن مرادهما فها يقصدان بقولهما « صاحب التوليد الغريب » انه اذا استنبط معنى من قرآن او حديث او حكمة او مثل او من كلام شاعر آخر أو اخترعه اختراعاً لا يزال يولد منه معاني متشاكلة بالزيادة عليه او النقص منه او بالقياس عليه فيستعمله في مدح ويقلبه في هجو ويزينه في وصف حتى لا يدع لغيره وجها ايا كان يستعمله فيه بعد . وقد فسر المؤلفان غرضهما في عبارتهما بقولهما (يفوس على المعاني الخ)

فهم مؤلفنا من (التوليد) انه (يأتي بعبارة لم يسبق اليها) مع ان ابن الرومي كثيراً ما يغير على قول غيره . وفهم من قولهما (وكان اذا اخذ المعنى الخ) انه يوضح المعنى ويمثله تمثيلاً . وما كان عليه لو نقل عبارة المؤلفين كما فعل في أكثر مواضع الكتاب (٤) ومن تقصير المؤلف في توضيح ما ينقله ما نقله عن السيوطي ناقلاً عن كتاب العين ومختصر الزبيدي احصاء المستعمل من الالفاظ العربية والمهمل منها فاستخرج المؤلف من كلام الزبيدي جدولاً استنتج منه ان عدد المستعمل من الالفاظ اللغة العربية ٥٦٢٠ لفظاً، مع ان كتاب القاموس وحده (وهو ليس الا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على ستين ألف مادة متوسطة مافي كل منها من المزيد والمشارك عشرون كلمة على الاقل أي نحو مائتي ألف وألف ألف كلمة فكيف ولسان العرب به ثمانون ألف مادة متوسطة مافي كل منها ثلاثون كلمة على الاقل

والمؤلف نقل عبارة الزبيدي عن المزهري للسيوطي وهي فيه مختلة أيضاً اسقط منها النسخ كلمة (الف) المكررة في عدد المهمل والمستعمل فصار فيها ألف الالف (أي المليون) الفا فقط، ويعرف هذا بمراجعة مقدمة شارح القاموس فانه نقل عبارة الزبيدي أيضاً وفيها مكان الالف في بيان المهمل والمستعمل (الف الف) وان وجد

٤٤ المتنبي وكافور . عدم تحري الصواب في النقل (المارج ١ م ١٦)

بها بعض تحريف أيضاً فكان جديراً بال مؤلف أن يزن العبارة بميزان عقله ويعدها إذا شاء كما عدل الأرقام التي ذكرها المزهر لتصح له عملية الجمع

(٥) ومن تحريف المؤلف بنقل عبارة المؤلفين ناقصة ما نقله في ترجمة المتنبي في قوله « حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب مجاهدين من ممالكهما بالسيوف والمناطق ، فلما رأى كافور منه سموه بنفسه وتعالى به شعره خافه وقال « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعي الملك مع كافور فحسبكم » فانغضبه فخرج ابو الطيب من مصر »

والتأمل في هذه العبارة يجدان قول كافور « يا قوم الخ » مقتضب عما قبله بل هو ثمة لسكلام محذوف ، وهو الواقع فان كافورا كان وعده بولاية بعض اعماله وطمع المتنبي في ذلك واستعجزه وعده في شعره مراراً وهو يتأمله ، فمات به بعض كبار الدولة في مطاله عن ابلاغه امنيته على كثرة مدحه له وهجرته اليه فاضبا لسيف الدولة فقال كافور « يا قوم الخ »

(عدم تحري الحقيقة والصواب)

اعتاد المؤلف أن ينقل الى كتبه ما يعتقد بذاته أو ما يكون ذائعاً على السنة عامة القراء والوراثين ، أو يقرؤه في الكتب التي تلقي الأخبار على عواهنها ، من غير تمحيص لحقيقتها ، حرصاً على افادة القراء وأحفافهم بالغرائب ، وهو اجتهد يشكر عليه لولا ما يشوه بهذه الأخبار محاسن كتبه من حيث لا يقصد . وربما يلتمس له في ذلك عذر وهو تسرعه في تأليف الكتب تعجيلاً لفائدتها ، وإن التحري والبحث والتحقيق والتدقيق كلها تستدعي أزماناً طويلة ومراجعة لكثير من الكتب ، ومساهلة لجمهور الأدباء ، وهو ما يضيق دونه وقته الثمين ، وعامة القراء يرضيهم ما دون ذلك والمستفيد يتوخى أربح الطريقين (ولكل وجهة هو موليها)

ولكن الرأي الذي نراه انه ينبغي السك من تعرض لتدوين التاريخ في السياسة أو الأدب ألا يكتبني برواية كتاب واحد أو كتابين وبما يذيع على السنة الناس ، بل يجب عليه تحقيق الخبر ومحيصه والاخذ بالرواية القريبة من العقل ، واللائقة بمنزلة من روي عنهم

ويوجد في هذا الكتاب كثير من الأخبار التي اغتر المؤلف بنقلها من الكتب

ولم يحصها ، فمن بعض ذلك :

(للتأريخ ١ م ١٦) عدم التحري والتحيص في نقل زيدان ٤٥

(١) نقله عبارة ابن خلكان التي نقلها مثل المؤلف كثير من الناقلين من أن الأمين جمع بين سيويو والكسائي في مجلسة للمناظرة وأن الكسائي زعم أن العرب تقول « كنت أظن الزبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو أياها » وأن سيويو قال إن المثل « فإذا هو هي » وأن الأمين تعصب لاستاذه الكسائي وأوعز سرا إلى أعراي حكموه في المسألة أن يصبوب الكسائي ويخطئ سيويو .

مع أن المسألة مشهورة في كتب الأدب والتاريخ والنحو من أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي وأن الكسائي كان مجزأ الوجهين (أي فإذا هو هي - وإذا هو أياها) وأن أعرايا عدة معروفين بعينهم واسماهم شهدوا بجواز الأمرين وأن الغلبة كانت على سيويو في هذا المقام وليس في العلم كبير . وهذا ما يليق بمقام الكسائي والأمين وثقات رواة الأعراب . والقصة مبسوبة بالتفصيل في معجم الأدباء لياقوت ص ١٩١ ج ٥ في ترجمة الكسائي وفي ص ٨١ ج ٦ ولم يكمل طبعه ولكن ما طبع اطلعت عليه وفيه ترجمة سيويو وفي ص ٣٦٦ من (بنية الوعاة في طبقات النحاة) وفي مبحث (إذا) من الجزء الأول من مغني اللبيب لابن هشام وفي غيرها من الكتب غير المطبوعة وفي أكثرها إعراب الوجه الثاني من الوجهين اللذين يجوزهما الكسائي ، وأن البصريين أنفسهم لا ينكرون صحة شهادة الأعراب الثقات وإنما يطعنون فيهم بأنهم من أعرايا الخطمة أي أنهم ليسوا فصحاء . ولولا طول هذه القصة لأوردتها من كثير من الكتب التي تخالف ابن خلكان في النقل وربما اطلع عليها المؤلف ولكنه آثر روايته إما لغرابتها أو لفرض آخر

(٢) ومن الأمور التي لم يتحر فيها المؤلف الحقيقة والصواب قوله في ص

١٤٦ في تعداد كتب الواقدي

« ٢ كتاب فتوح الشام : هو أشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواء من كتب الفتوح ، وقد طبع مرارا - إلى أن قال - وطبع أيضا في مصر سنة ١٨٨٢ » وغيرها . ثم بعد أن ذكر عدة كتب له قال :

« ٧ عدة كتب في الفتوح تنسب إليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت

بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الأمصار لم تنف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه . وأكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يسول عليها وفي مجلة المشرق البيروتية

مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفح ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة »

٤٦ تناقض كلام جرجي زيدان في كتابه (المنارج ١ م ١٦)

اقول اني لم اطلع على مجلة المشرق ولا على انتقادها ولكن الامر لا يجبهه من له ادنى إلمام بتمييز كتابات العصور المختلفة او بالتاريخ ان كتب المذاهب التي تطبع في مصر من مثل نوح الشام ومصر والبهنسا وفتح خير وفتح مكة ورأس القول ونحوها هي من الكتب الموضوعة الخيالية المشتبهة على بعض حقائق تاريخية والاقرب اليها وضعت هي وقصة عنزة وذات الهمة وغيرها زمن الحروب الصليبية لتعرض في الناس فضيلة الشجاعة والاقنداء بالسلف الصالح لانها هي نفس كتب الواقدي الحقيقية وان الذين سموها بهذه الاسماء هم جماعة الوراقين والنساخين لترويج سلمهم عند القراء كما نسب مؤلف قصة عنزة روايتها الى الاصمعي وزعم أنه عمر وادرك الجاهلية وقابل شيوبا اخا عنزة . واني لا خجل ان ارى مثل مؤلفنا قد انخدع بهذا الباطل وطوح به الامر ان قال في كتب الواقدي ابي التاريخ انها محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وليت شمري على من يعول في تاريخ الفتوح اذا لم يعول عليه . وهذا ابن سعد كاتب الواقدي وتلميذه نقل عنه اكثر اخبار الفتوح في كتابه الكبير (طبقات ابن سعد) البالغ بضعة عشر مجلداً وهو اصح كتاب في طبقات الصحابة . على ان المؤلف لو راجع عبارة بعض هذه الكتب المنحولة للواقدي وبعض الكتب الاخرى الصحيحة النسبة اليه كفتح افريقية وفتح العجم لميز بين الصحيح والموضوع . ولكن قاتل الله العجلة وخاصة العجلة في التأليف .

(٣) ومن الامور التي لم يتحر فيها المؤلف الحقيقة نقله ما يقول بعض خصوم الجاحظ من الصفاتية واهل السنة من انه كان يقول: ان القرآن المنزل من قبيل الاجساد وانه يمكن ان يصير مرة رجلاً ومرة حيواناً الخ الخ والجاحظ اعقل من ان تنسب اليه هذه المقالة وهو هو من علمت، ومذهب المعتزلة مبسوط معروف في كتب الكلام ولم يسمع عنهم هذا القول، والجاحظ لسانهم وحجتهم والمؤيد لمذهبهم وانما اخذ اعداؤه هذا من قوله في القرآن: انه مخلوق، اي كما تخلق بقية الموجودات من انسان وحيوان وترجمة الحافظ ذكرت في كثير من الكتب واخصها ترجمة ياقوت في معجم الادباء وهي نحو ٢٥ صفحة ولا توجد فيها هذه الفرية ولا اعرف المؤلف نقلها عن غير الشهرستاني او عن نقل عنه.

(التناقض)

تناقض المؤلف نفسه في كثير من مواضع كتابه فمن ذلك : (١) قوله في صفحة

(المار ج ١ م ١٦) كتاب المين للخليل . نشوء علم الجغرافية بالعربية ٤٧

(١٥٩) « ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمثني فيطلب صحة المعنى ولا يبالى حيث وقع من هجئة اللفظ وقبحه وخشوعته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومثانة »

قرأنا هذه العبارة فتعجبنا من تناقضها ولحنا في أثنائها رقما يشير به الى الذيل من أنه أخذ هذه العبارة من العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ٨٢ فراجعنا العمدة فإذا فيها « ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالى الخ » ولم يذكر العبارة التي زادها مؤلفنا من عنده فوقع نفسه في التناقض كما أوقع قارئ كتابه في حيرة . (٢) ومن تناقض كلام المؤلف قوله في صفحة ١٢٣ في تعرضه لكتاب المين « ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه ولكن الثقات الباحثون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال (وقع في البصرة كتاب المين سنة ثمان وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بنحو مئتين ديناراً ، وكان قد سمع بهذا الكتاب انه في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق »

فانت ترى من هذه العبارة ان الكتاب اشتهر في عصر الخليل حيث لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصره الا استفاد منه على زعم المؤلف ، ولكن لا تكاد تفرغ من قراءة هذه الجملة حتى تقع في ان الثقات الباحثون في نسبته للخليل وفي صحة ما فيه . فليت شعري من هم هؤلاء الثقات الباحثون؟ أم جميع النابغين من النحويين واللغويين والادباء الذين استفادوا جميعهم منه؟ أم هم غير هؤلاء النابغين؟ وبعد فتي استفاد هؤلاء النابغون؟ والكتاب بشهادة ابن النديم بل بشهادة كل من كتب في تاريخ كتاب المين لم يظهر الا بعد موت الخليل بنحو سبعين سنة وذلك ما جعل العلماء يشكون فيه وأنه لو كان للخليل لذاع أمره وعرفه تلاميذه وقلوا عنه مع أن تلاميذ الخليل مثل الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وتلاميذهم - كل أولئك لا يعرفون عن كتاب المين شيئاً ، ولكن مؤلفنا وحده يعلم أنه لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وبعده الا استفاد منه ولله في خلقه شؤون .

(٣) ومن تناقض المؤلف قوله في صفحة ٢٠١ « نشأ علم الجغرافية في هذا العصر (اي العصر الثاني العباسي) بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان . على أن المسلمين بدءوا بوضع

الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لأسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها الخ الح . فان تمحلنا عذرا للمؤلف في هذا التناقض وقلنا انه استعمل شبه الاستخدام البديهي في كلامه فيكون قد ذكر الجغرافية أولا بمعنى الجغرافية الرياضية واعادها ، ثانيا الجغرافية التخطيطية التي كانت تسمى علم المسالك والممالك فلا يصح رفع التناقض من كلام المؤلف أيضاً لان العرب اشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثاني ، والمأمون وعلماءه ممن صحح اغلاط بطليموس وغيره في محيط الارض وقطرها ومقياس الدرجة الارضية .

(٤) ومن تناقض المؤلف وتحييره قوله في أبي العتاهية « وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد ويؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم أهل خيال وأوهام وخصوصا الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقبلون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . على ان تمنع أبي العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سببا حملا على ذلك !! »

ما قولك أيها القارئ في هذه العمل التي لو صدقت (لا قدر الله) على كل شاعر يتكسب بالشعر كأبي العتاهية لتبرمت الدنيا بكثرة المحرورين والموسوسين المتعجبين . على أن الله أرحم من أن يصدق زعم المؤلف في الشعراء من عباده فلم تر بعد أبي العتاهية من يشبهه في سودائه والحمد لله .

(الاختصار فيما ينبغي الاطناب فيه)

« والاطناب فيما ينبغي الاختصار أو فيما هو اجنبي من موضوع الكتاب »

من اعجب امور المؤلف انه يعلم ويعلم ان الناس تعلم انه يؤلف كتابه في آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا الهندية ولا السريانية ولا اللغات الاوربية الحاضرة، ثم نراه اذا خاض في ذكر مبحث من مباحث الآداب العربية او عدد نبغاء او ذكر ترجمة نابغ شاعر أو كاتب او مصنف اقتصر على ذكر تنف قليلة من المبحث او اقتصر على العدد القليل من مشهوري النبغاء واختصر تراجمهم مكتفيا بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب وبذكر الكتب التي يراجعها من شاء التوسع وقد لا تزيد عن كتابين معروفين لاكثر الناس لا حاجة للدلالة عليهما على

(المنار ج ١ م ١٦) تقصير جرجي زيدان في تراجم الأدباء والشعراء ٤٩

حين أنه يطول في كثير من المواضع حتى ليكرر كثيرا من المباحث في غير مكانه مجرد ولعه وأعجابه بل يخرج له ولعه بالشئ أن يدخل في كتابه مباحث مطولة جدا ليست من موضوع آداب اللغة العربية وتراجم أناس ليسوا من العرب ، ولا خالطوا العرب - فمن النوع الاول :

(١) اختصاره في تراجم مشهوري الشعراء واقتصاره منها على ذكر تنف جافة قلما يتعرض فيها لنقد أو موازنة أو تقرير حكم معتدرا عن ذلك بأنه ليس من الأدباء المتفرغين للدرس والنقد . قال في صفحة ٥٨ عند ذكر سبعة من شعراء العصر الاول :

« واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الإيجاز والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته الى مجلد قائم بنفسه فتترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الأدباء » .

ونحن نسلم معه أنه ليس من المتفرغين للدرس والنقد من الأدباء ولكن لا نسلم أن من لم يفرغ للدرس والنقد من الأدباء يوثق بقبوله أو يعتد برأيه في هذا الباب أويظن أنه باختصاره أثر الأهم على المهم . وأي مقام يفرض عليه الإيجاز الخالي من الحكم الأدبي والكتاب ليس مذكرة مدرسية تنطبق على برنامج مدرس مختصر وإنما يقصد المؤلف به أن يكون مرجعا للجمهور المتأدين من القراء الشداة لا التلاميذ الأحداث، بدليل أن (حضرته) وعد في كتابه هذا أن يختصر منه ملخصاً للتلاميذ المدارس . على أن الذي يستطيع أن يؤلف مجلداً في ترجمة شاعر لا يعجزه أن يلخص هذا المجلد في صفحة أو اثنتين بحيث يشير في كلامه الى نتيجة البحث والنقد .

(٢) ومن اختصاره أو اقتصاره أو تقصيره أنه لم يترجم لاحد من كتاب الرسائل في العصر الاول ولا الثاني (اي في مدة مائتي سنة) وهما عصر البلاغة والجزالة الالائتين ، أحدهما عمرو بن مسعدة والآخر القائد طاهر بن الحسين قائم بغداد وقاتل الامين ووالي خراسان، وقد علمت أنه ليس من كتاب الرسائل ولا عمل في ديوان . مع أن كتاب الرسائل في هذين العصرين لا يقل التابغ منهم عن عشرين تولى أكثرهم الوزارة أو ديوان الرسائل والتوقيع والخاتم كعمارة بن حمزة وإبي عبيد الله ويعقوب بن داود وزيري المهدي وخالد بن برمك وابنيه الفضل وجعفر وأحمد بن

٥٠ التطويل والخلط في آداب اللغة لزيدان (المئارج ١ م ١٦)

يوسف وزير المأمون وابن الزيات وابراهيم الصولي والحسن بن وهب وسليمان بن وهب وسعيد بن حميد وابن مكرم واحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وبني المدبر وآل ثوبة وآل الفرات وآل الجراح وابن مقلة وغيرهم ممن تزيت كتب الادب يبارع كتبهم ، وطلعت اهله البلاغة من خلال فصولهم ، وليسوا بالجهولين فيجعلهم المؤلف ، ولا المدفوعين عن تقدم فيلوي عنهم عنانه .

(٣) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الجرمي من نحاة العصر الثاني مع ترجمته لابن ولاد وابي جعفر النحاس وغيرهما ومكان الجرمي في النحو لا يحفل .

(٤) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الاوزان والقوافي التي طرأت على الشعر في جميع العصور التي ذكرها كالموالي والدويث وابحر المولدين والشعر المزدوج والمسط والتعريف بقائلها واكتفى بنبرة يسيرة في الموشحات في العصر الثالث ومن النوع الثاني اي التطويل في غير موضعه بل ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه او ما ليس من موضوع هذا الجزء الثاني الخاص بالعصر العباسي :-

(١) تخصيصه اثنتي عشرة صفحة من كتابه لموضوع اجنبي من موضوع آداب اللغة العربية بالمرّة وهو آداب اللغة اليونانية واطوارها وتراجم مستقلة بصور كبيرة لفلاسفة اليونان كسقراط وافلاطون وارسطو وبقرات واوليديدس وارشميدس وجالينوس وآداب اللغة الفارسية واطوارها وآداب اللغة السريانية واطوارها وآداب اللغة الهندية . قل هذه المباحث من دوائر المعارف ووضعها في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي لاقل مناسبة ثم نقلها هنا بلا مناسبة وكان الاولى بال مؤلف ان يحل محلها كتاب الدولة العباسية وهم فحول البلاغة وقادة الكلام

(٢) ومن ذلك اسهاب المؤلف في شرح الادب والانشاء عند الافرنج ص ٢٧٦ مع انه ليس من غرض كتابه

(٣) وذكره لبعض قصص الافرنج الخرافية ووضع صور خرافية لحروب الاسكندر المقدوني مع أمهم لم يستأبد وأمهم لهم وجوه بهائم

(٤) ومن التطويل أو من الاخلال بالنظام وضع الكلام في مبحث تأثير

القرآن الكريم في اللغة العربية في هذا الجزء وكان من حقه أن يدرج في الجزء الاول

(٥) ومن التطويل تكرار الكلام في موضعين أو ثلاثة لتفسير موجب مثل

وصف التهنك والخلعة ذكره في الشعراء ثم اعاده بعينه في الشعراء ص ٥٠

(٦) ومن التطويل في غير موضعه نقل القصة المطولة التي تحكي عن عبد الملك

(المنارج ١ م ١٦) استدلال زيدان بالحادثة الجزئية على أمر كلي ٥١

من أنه قال جلسائه يوما « ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليّ ماشاء » وان سويدا ذكر من كل حرف كلمة ثم ثلاث كلمات ، وان هذه القصة وما سيقت لاجله - وقد بلغت نحو صفحة - كان حقها أن توضع في حالة اللغة في بني أمية لا أن تذكر في علم اللغة في بني العباس

(٧) ومن ذلك ذكره حالة الفناء في الدولة الاموية ضمن مقالة الموسيقى والفناء في الدولة العباسية وكان من حقها أن توضع في الجزء الاول

(الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كلي)

اعتاد المؤلف في كتبه أن يستتج من حادثة جزئية أمراً كلياً وهذه الحصلة من أكثر ما ينهه عليه النقاد وقد عمل بها في كتابه هذا غير مرة كقوله في صفحة ٧٨ في ترجمة في سلم الخاسر

« وكثيرا ما كان يأخذ أقواله (أي أقوال بشار) فيسليخها ويمسحها كما مسح هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيات الفاتك الهج
فجعله

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور
فبلغ يته بشارا ففضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيد ما دام حيا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي الخ »

فشكل من تتبع ترجمة سلم الخاسر في مظانها لا يجد من سرقة لشعر بشار غير هذا البيت وهو وحده سبب الغضب

وقوله في صفحة ١٦٧ في ترجمة الحافظ وذكر لإصابته بالفالج ولزومه يته بالبصرة « وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه »

فليتفضل علينا المؤلف ويذكر لنا أديبين أو ثلاثة من هؤلاء غير ذلك الوالي البرمي المصروف عن ولايته بالسند الذي جعل ذبه في أشكال الاهليج ان جاز له أن يدعي أنه كان أديبا طالما

ومن هذا القليل شيء كثير في السكتاب

٥٢ تقليد زيدان للفرنجة واضطرابه في التبويب (المراجع ١ م ١٦)

(تقليده مستعربي للفرنجة حتى في الخطأ)

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وآدابهم - ولو خالف الواقع - ومن ذلك ثقته فصولاً برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانكليزي وبروكلمان الالمانى مثل مقالة الشعر في العصر الاول وغيرها

(اضطراب التبويب والتقسيم)

ان بعض مقرضي هذا الكتاب وصفه بأن أهم ما يمتاز به عن كتب المتقدمين هو حسن تبويبه وتقسيمه ، ولكني لسوء حظي لم أوفق الى سرتبويه وتقسيمه لهذا الكتاب - اذ أجد ما يصلح ان يذكر في تاريخ الآداب ، وما يلزم أن يوضع في كتب آداب الفرنجة ، وضع في أدب العرب ، وما ينبغي أن يجمل في عصر ظهور الاسلام جعل في عصر بني العباس ، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره أو في طائفة غير طائفته الخ الخ بحيث تضطرب المباحث وتتداخل المصور ويلتبس الامر على القارئ فلا يدري خاصة كل عصر . فمن ذلك :

(١) ذكر القرآن الكريم والعلوم التي تفرعت منه وبيان تأثيره في آداب الجاهلية من الخطابة والشعر والانشاء واللغة وبيان تأثيره من الوجهة الاجتماعية والاخلاقية مع أن محل ذلك مبدأ ظهور الاسلام اذ هو وحده مبدأ هذه التغيرات

(٢) ابتداء المؤلف هذا الجزء بالكلام المسهب في العلوم الدخيلة وتراجم رجال اليونان وتأخير الشعر العربي والعلوم العربية والشرعية عن موضعها مع أنها هي المباحث العربية الاولى بالتقديم - لان الكتاب صنف في أدب اللغة العربية لا الدخيلة . ولو سلمنا ان للمؤلف سراً في تقديم الدخيلة ، فما هو السر في أنه أخرها عن الشعر العربي والعلوم العربية والشرعية في العصر الثاني والثالث ؟

(٣) اسبابه في صفحة ١١٩ و ١٢٠ في حالة العناية بأمر اللغة في زمن بني أمية ، وكان الاليق أن يذكرها في الجزء الاول الخاص بآداب الجاهلية وعصر الخلفاء الراشدين وبني أمية

(٤) اسبابه في الكلام على الاغاني في عصر بني أمية في هذا الجزء الخاص ببني العباس ومن حقه ان يذكر في الجزء الاول

(٥) ذكره ان احتدام الخلاف بين التحويين الكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية . والحقيقة أن الخلاف أشد ما كان بين كوفي وبصري قد كان في العصر الاول . وأما الثاني والثالث وما بعدهما فقد هان فيها الخلاف ووجدت مذاهب ملفقة من المذهبين - فكان الاولى ذكر هذا المبحث المسهب في العصر الاول

(٦) ومن ذلك تأخير الكلام في نشأة علم الفرائض الى العصر الثالث مع أنه قديم دون منذ دون الفقه فكان الواجب ذكره في العصر الاول

(٧) ومن ذلك ذكره عدد كثير من الشعراء والعلماء المصنفين من أهل عصرين العصر الذي يليه أو الذي قبله ويعلم ذلك من وفاتهم فليتبها القارئ . ولولا أني سئمت من كثرة التعداد لا تيت عليهم جميعا . وكثيرا ما يذكر المؤلف علماء فن مع علماء فن آخر وشعراء نوع في شعراء آخر . وان شاء المؤلف ان تفصل له هذا الاجمال ونذكر من هم الذين عاملهم بهذه المعاملة فنحن على كتب من إجابته

(تهافت المؤلف)

للمؤلف تهافت وولع بالشيء لا يؤبه له أو بالامر يناسب مقاما خاصا فيقحمه في كل مقام كما فعل هذا في كتابه هذا وغيره في مواضع شتى فمن أمثلة ذلك : ولعه بمسألة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس الى عكس مايراد بها فذكر في هذا الكتاب صفحة ٢٢١ ان اضطراب الخلافة الاسلامية وانحلالها الى إمارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من دواعي النشوء والارتقاء، في حين يعده المؤرخون من دواعي الانقراض والفناء ، كما هي النتيجة الحقيقية التي أعقبت هذا الانشعاب . فذلك حيث يقول « فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء الخ »

ثم ناقض قوله هذا بقوله في العصر الثاني أي الذي كان بعد ان اضطربت الخلافة وحدث الارتقاء - على زعمه - « حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر الثاني فتور على أثر البحران السياسي الذي أخذ من قوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بأنفسهم عن تنشيط العلم - ثم ذكر أن بعد هذا الفتور حدثت نهضة لم يبين سببها وقال - : والفاعل في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي الخ » ومن مثل هذه المسألة كثير في الكتاب

٥٤ عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية (المار ج ١ م ١٦)

(اللحن والاعلاط اللغوية)

لا تكاد تمر بالقارئ صفحة من الكتاب الا مشتملة على خطأ لفظي إما في النحو أو الصرف أو اللغة وكان يجدر بالمؤلف أن يمرض كتبه على ناقد بصير بصناعة الاعراب حافظ لمستعمل اللغة حتى لا يردل كتبه النفيسة بهذه الاعلاط الشائنة واذ كانت هذه الاعلاط تعد بالمشرات بل المثبات لا نرى من الواجب علينا شحن عجالتنا هذه بشيء منها ولكنتنا لا تتأخر عن اجابة حضرة المؤلف اذا أراد تصحيح كتابه مرة أخرى بتعدادها له في فرصة من فراغنا ان سنحت

(النتيجة)

ان الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه ونشكر حضرة المؤلف على اهتمامه بخدمة العلم ونسأله مسامحة فيما كتبنا اقتداء به أو مساعدة له على هذه الخدمة لا غير وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية ﴾ *

— ١ —

مقدمة ومهيد

من الناس من يكتب ليعجب الناس بما يأتي به من زخرف القول ، ومنهم من يكتب ليرضيهم بما يبيده من حسن الرأي . فهذا يفترض حوادث الزمن ، وذاك يرتقب سوانح النكت ، ليحل كلاهما محل القبول ، ويصيب مواقع الاستحسان من القلوب ، ونسأل الله أن لا يجعلنا منهم

ومن الناس من يكتب لاجل النفع ، بازالة باطل أو اظها حق ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، فهو يتحول الناس بالموعظة ، ويتخونهم بالكشف عن مكامن العبرة . وزجو الله أن نكون من هؤلاء في الدنيا وأن نحشر معهم في الآخرة تساهل بعض الناس لم كتبت تلك المقالات الطوال في المؤيد حين أوقدت نار

(*) نشرناها أولاً في المؤيد

الحرب في طرابلس الغرب وبرقة . ولم أكتب فيه شيئاً في ابان هذه الحرب ، وهي أدهى وأمر ، وأنتكى وأضر ، ولو تذكروا تلك المقالات لعلوا أنها كتبت في شأن هذه الحرب وكون تلك مقدمة لها ، أي أنها فتح لباب المسألة الشرقية وتهدد من أوربة لحل هذه المسألة ، والقضاء المبرم على ما بقي للمسلمين من هذه الدولة . فلو وماها اخواتنا المسلمون ووزنوها بميزانها لفسكروا في مستقبلهم ، واجتمع أهل الرأي منهم في كل مكان للبحث عن مصيرهم ، ولم يرضوا أن تبقى مصالحهم العامة في أيدي بعض سفهاء الاحلام ، الذين لا يمسكون هنا الا البذاء في الكلام ، وتضليل العامة بالوساوس والاهام ، وكان من ضررهم ما كان . فكيف بحال أمثالهم في عاصمة الدولة وقد ملكوا مع هذا كل شيء فدمروا كل شيء

انني وابع الله لا أكتب لأجل الافادة والنفع ، وما اكتفيت في أيام هذه الحرب بما كتبت في المنار ، وأمسكت عن الكتاب في الجرائد اليومية - وأولاهها بما أكتب في هذه الحال المؤيد - الا لاني أرى أن هذه مثل البلاد لا تستطيع أن تنفع الدولة الآن الا بالمال . وقد انبرى لجمعه لها أمراؤها خفت لصوتهم كل صوت ، وقصر عن قولهم كل قول ، وتضاءل دون سعيهم كل سعي ، جزاهم الله أفضل الجزاء ، وحسبي من شرف مشاركتهم في ذلك ولو بالاسم انني عضو في جمعية الهلال الاحمر - فلم يبق من طرق نفع الكلام في هذه الحرب الا بيان ما فيها من العبر ، وما أدى اليها من الاسباب ، وما يلزم عن تلك المقدمات من النتائج . وهذا ما كنت أربص به أن تضع الحرب أوزارها ، لتلايقال إنها بتسر العبرة فجاءت قبل أوانها . كما قال بعض أصدقائي في مقالة نشرتها في المنار

أما وقد عقدت الهدنة ، وعين المفوضون للبحث في شروط الصلح ، وقد ثبت خيانة وفساد جمعية الاتحاد والترقي للدولة ثبوتاً وسمياً ، وعلم الخائن والعام ، انها هي علة حرب طرابلس وحرب البلقان ، فقد جاء الوقت الذي يرجي أن ينفع فيه القول ، ويخشى أن يضر السكوت . وترجح المقتضى على المانع

قد كاد يكون من موانع الكتابة قلة وجود المتدبرين الذين يميزن بين قول الحق ويعرفون أهله بأدلتهم وسيرتهم ، وبين أقوال المبطلين الذين يغشون الأمة ويعفرونها بتأييدهم للاقوياء الذين ينتفعون منهم ، فقد كان زعماء الحزب الوطني هذا يغشون الناس بالسلطان عبد الحميد الذي باعوه ذمتهم بالرتب والنياشين والدراهم والدنانير حتى كان بعض زعمائهم يجعل الشهادتين في الاسلام ثلاثاً . فأوجب على من

٥٦ الحزب الوطني المصري وجمعية الاتحاد والترقي (المئارج ١ م ١٦)

يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . أن يثلك فيقول وأشهد أن السلطان عبد الحميد خليفة الله . ولولا هذا التثليث لما انتقل من لقب أفندي الى لقب بك . ومنه الى لقب باشا . وما زالت جريدة اللواء تغش المسلمين عامة والمصريين خاصة بعبد الحميد مدة حياة مؤسسها وبعد موته الى ما قيل اعلان الدستور يوم واحد اذ كتب فيها يوم الاربعاء طعن شديد في طلاب الدستور من العثمانيين ورمي لهم بأنهم يريدون به هدم الدولة ، وأنبأتا البرقيات باعلان الدستور يوم الجمعة فلما سقط عبد الحميد وزا على الدولة بعده أولئك الاغيلة المتخرجون في ملاهي غلظه ويوغلي وسلافيك وباريس ، وأفسدوا كثيرا من ضباط الجيش ، وجعلوا بقوتهم الدستور آلة لتفريق عناصر الدولة وذريعة لمحو اسمها من لوح الوجود - قام أنصار عبد الحميد هنا وفي بلاد أخرى ينصرون هؤلاء المتغلبين الخريين ، ويفشون الامة بم كما كانوا يفشونها به أوأشد . وكان يصدقهم في إطرأهم كثير من الناس مع بيان جرائمهم الامم كلها لمفاسدهم ، بل مع ظهور هذه المفاسد بالفعل - الى أن أبكم الله ألسنتهم قبل ثبوت خيانة مستأجريهم للدولة ثبوتاً رسمياً ، وتكامل الحكومة السلطانية بهم وتمزيقها لشملهم . ولعله لو بقي لهم لسان ينطق ، وقلم يكتب ويفشر ، لم ينجحوا من الاستمرار على التويه والتضليل . اذا كان أملهم بمودة الجمعية الى استبدادها باقيا ، أو امدادها لهم لا يزال متصلا ، ويا حسرتي على شبان هذه البلاد ، الذين خدع كثير منهم هؤلاء المفتونين بالمال والشهوات ، والشهرة الباطلة ، والاورهام المضللة نعم ان رواج التفرير والتضليل في سوق السياسة وقلة التمييز بين الحق والمبطل ، والصادق والكاذب ، قد كاد يكون مانعاً من التصدي للكتابة لولا أن الله تعالى أوجب النصح وبيان الحق ، وحرّم القنوط واليأس ، وجعل العاقبة للمتقين

﴿ مقدمات الخذلان في هذه الحروب ﴾

جمعية الاتحاد والترقي

انني اعرف من أمر هذه الجمعية ما لا يعرفه أحد في القطر المصري ، وقد بلوتها واختبرتها في الاستانة مدة سنة كاملة ، رأيت من زعمائها وسمعت من ألسنتهم ، ورويت عنهم بالاسانيد العالية المتصلة بهم ، هالاي تفق مثله الا لقليل من الناس ، ثم أيدت أحاديث جرائد العالم وحوادث الدهر ووقائمه ما علمته عنهم ، فأنا أروي ما تؤيده الاحاديث

(المارج ١ م ١٦) أعمال الاتحاديين التي خذلت الدولة في الحرب ٥٧

والحوادث، وأستخرج العبرة منه، ليعلم أولوالقبرة على هذه الدولة التي لم يبق للمسلمين غيرها أين مكانها، وما هو الخطر الذي يندرها، لعل ذلك يكون مما يستمين به أولو الرأي ما يجب لحفظ سلطة الاسلام، المهددة بالزوال والاقراض (والياذ بالله)
أبدأ بذكر أهم الوسائل التي شرع الاتحاديون فيها ولا أذكر مقصدهم الذي يتوسلون اليه بتلك الوسائل الآن، لانه لا يصدقه غير العارف بحقيقة أمرهم، الا اذا أطلع على المقدمات والوسائل التي أذكرها، لانه مقصد غريب في نفسه

(أعمال الاتحاديين التي كانت مقدمات الخذلان في الحرب)

ازالة قوة المسلمين غير الترك من الدولة

أول ما قرر زعماء هذه الجمعية البدء به من الاعمال، بعد ما غنوا به من جميع الاموال، بضروب من القوة والاختيال، هو ازالة كل قوة للمسلمين في هذه الدولة حديثي غير واحد في الاساتة من الترك وغير الترك من السثمانيين وبعض الاجانب العارفين بأمور الدولة أن من برنامج جمعية الاتحاد والترقي أن تجميع السلاح من الارنؤوط وتضربهم ضربة شديدة، ثم تجرد جيشا آخر أو جيوشا لضرب العرب في اليمن وعسير، وعشائرهم وعشائر الدروز في حوران وجنوب بلاد الشام ثم العراق، وتجميع السلاح من الجميع، وسأذكر ما قرر في شأن طرابلس بعد، وبعد هذا وذاك تجرد جيشا آخر على الاكراد تذللهم وتجميع السلاح منهم، فاذا هي جمعت السلاح، وأخضعت لهيتها أولي القوة والبأس من المسلمين، يسهل عليها أن تنفذ مقصدها بلا معارض ولا منازع

قررت جمعية الاتحاد والترقي تنفيذ هذه المادة من برنامجها ولم تفكر في عواقبه، لم تفكر في عجز الدولة عن حماية هذه البلاد اذا كانت مجردة من القوة الذاتية، ولم تفكر فيما تخسره في قتال هذه الممالك من الاموال التي تأخذها من أوربة بالربا الفاحش، ومن الجنود المنظمة التي تحتاج اليها للدفاع عن الدولة وحفظ سلطتها، ولا فيما ينشأ عن هذا القتال من الفتن، وتفرق عناصر الدولة وانحلال روابطها بدأت الجمعية بقتال الارنؤوط وأنا زب الأستانة فبذل مبعوثو هذا الشعب جهدهم في فتح مجال الجمعية بأن يتوسلوا الى حل مسألة الارنؤوط بالنصح والسلم فلم يقبلوا. وأظهروا الاحتقار لهؤلاء المبعوثين حتى انهم صنعوا اسماعيل كمال بك الزعيم الشهيد (المارج ١) (٨) (المجلد السادس عشر)

٥٨ لأتجاة لسورية وغيرها من الخطر الابالذفاع الوطنى العام (المئارج ١٦م)

فى مجلس الامة . ومن غرائب صنعهم أن جمهوا ماقدروا على جمعه من سلاح المسلمين ولم يعيدوه اليهم ، ولكنهم أعادوا السلاح الى المالىسوريين لأنهم نصارى ، فانظر كيف كان عاقبة أمرهم ، وكيف ظهر انه كان يجب عليهم أن يساعوا جميع مسلمي تلك البلاد ويدربوهم على الفنون العسكرية لاجل الدفاع عنها ، ويؤلفوا منهم عصابات كهصابات البلقار وغيرهم . ولو فعلوا ذلك لنتف الدولة فى هذه الحرب نفماً عظيماً ثم فعلوا فعلتهم فى اليمن وعسير ، وفى الكرك وحوران ، فقد جردوا لقتال المسلمين فى هذه البلاد زهاء مئة ألف جندي من أحسن جنود الدولة النظامية أو أحسنها على الإطلاق . قتل منهم فى اليمن ألوف كثيرة وبقيت مسألة اليمن كما كانت . ولكن خربوا بلاداً كثيرة منها ومن بلاد الكرك وحوران ولم تستفد الدولة فى مقابلة هذا التخريب والخسران شيئاً . ولو تم لهم ما أرادوا من جمع السلاح من بلاد اليمن لاستولت عليها ايطالية فى السنة الماضية وقتلت من فيها من العسكر ، لان الدولة ما كانت تستطيع أن ترسل اليها مدادا . ولو ظل أولئك الجنود فى معسكرهم لرجحت الدولة على البلقانيين بهم والآن يتحدث الناس فيما ذكرته الجرائد الفرنسية عن سورية ومصالح دولتها فيها ، والظاهر أن المراد به اختبار رأي الدول فى أمر استيلائهم عليها . وقد عرف بالقياس على مسألة طرابلس الغرب ومسألة البلقان أن الدولة لا تقدر على حفظ سورية الا اذا كان فيها قوة ذاتية تخشى الدول العظمى بأسها . ولا يمكن ان تأتي هذه القوة من الروملي ولا من الاناضول ، بل يجب أن تكون مؤلفة من الجند النظامي والاحتياطي الذي فيها ، ومن قبائل العرب والعشائر الوطنية والمجاورة ، وهؤلاء هم الذين يخشى الاجانب من جانبهم اذا كانوا مدربين على القتال مالا يخشونه من الجند الرسمي ، لان قنالمهم يكون بالمطولة لا بالناجزة فالخسارة فيه عظيمة ، وانما هؤلاء الاجانب تجار يطلبون الربح من أقرب طرقه . وأشدهم اتقاء للقتال أعظمهم توغلا فى الاستعمار كالكثرة وفرنسة . ولعل ايطالية لا تعود الى مثل غلطها فى طرابلس الغرب . بل أظن أن البلقار قد ندمت على تهورها فى طلب أمنيتها على ما أتيج لها من الظفر بخاذلتا واهمالنا ، وأنها لا تعود الى مثله ظهر ضرر هذا العمل السيء الذي شرع فيه الاتحاديون ، وظهر أنه كان الواجب الحتم أن يعملوا ضده ، وأن يجعلوا فى كل قطر من هذه الاقطار قوة أهلية تساعد الدولة وتؤهلها للدفاع عن قطرها ، فهل يعتبر الناس بهذا ويسعون للواجب من جميع الطرق ، هل يتذرعون بالاتحاديون ويندمون عليه ، هل يسكت عن الاعتذار لهم مأجورهم والمفرورون ؟

(المارچ ١٦ م) تهيج الاتحاديين عصبية الشعوب العثمانية ٥٩

كلا اتا قرأنا في جرائد أمس أن زعماءهم لا ينجحون من الاصرار على التبجح بقتال الدولة - أو الحكومة الاتحادية - للارناؤوط وان ظهر ان ذلك كان مصابا كبراً على جمعيتهم من جهة وعلى الدولة نفسها من جهة أخرى . وهاك شاهداً مما نقلته إحدى جرائد الاستانة عن أحد زعماء الجمعية الذين فروا في هذه الايام الى أوربة: كتب صاحب جريدة اقدام التركية من سويسرة الى جريدته في الاستانة يقول انه قرأ في جريدة (بسترلويد) حديثاً دار بين مكاتب هذه الجريدة (مسيورالي) وبين حاوید بك أحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذي كان ناظر المالمية في أهم وزاراتها سأل ذلك المكاتب حاوید بك عن أسباب انكسار الجيش العثماني وخذلانه في البلقان فكان الجواب بعد مقدمة فيما ينقص الجيش وفي معداته ما خلاصته :

« اتا كننا هيانا كل شيء وأنفقنا على ذلك أربعين مليون ليرة في السنوات الاربع الماضية . ولقد ظهر كل هذا في تجهيزنا الحملة على بلاد الارناؤوط ومحاربتنا لتلك البلاد . أما أسباب فشلنا العظيم فترجع الى تنظيم رجال جدد لم يطلعوا على الترتيبات » فليأمل العقلاء كيف اعترف الزعيم الاتحادي الذي كان ناظراً للمالية بأنهم صرخوا على الجيش أربعين مليون ليرة وكيف يتبجح بأن ثمة تنظيم للجيش واقفاهم عليه قد ظهرت في قتالهم لطائفة من رعية الدولة المخصصة لها . أهذه هي غاية استعداد الدولة الحربي ؟ يا الجمعية الدستورية المصلحة ؟ أتعذرون منتهى شوطكم أن تأخذوا أبناء الأمة وأموالها وتحملوها الديون التي تذلها للاجانب لاجل أن تقتلوا بها وتذلوها وتدمروا بلادها ؟ ألا فليعتبر المستبغون ، أو لياتينهم العذاب وهم ينظرون .

— ٢ —

تهيج عصبية العناصر العثمانية

كان الناس يسمون من اسم جمعية الاتحاد والترقي انها جمعية غرضها أن تجعل بين العناصر العثمانية وحدة سياسية اجتماعية بالمساواة بين الترك وغيرهم في الحقوق الشخصية والحقوق العامة كمناصب الدولة ووظائفها وان هذا هو المراد من كلمة (الاتحاد) الذي يتبعه الترقى في العمران وما يتوصل به اليه من العلوم والفنون . فلما صار النفوذ في هذه الجمعية لامثال الدكتور ناظم وطلمت وحاوید ورحمي وجاهدوا ضرابهم ظهر للباحثين والمطالعين من العثمانيين والاجانب ان مرادهم بالاتحاد أن تدغم العرب والارناؤوط والكرم وغيرهم في الترك وتفتي لغاتهم وجنسياتهم فيكون جميع العثمانيين تركاً !

٦٠ المفسدون بين العرب والترك بمسألة الخلافة (المنار ج ١ م ١٦)

كنا في طليعة من كتب في هذه المسألة بيان فوائدها وغوائلها ومفاسدها ،
ووجوب تقديم درء المفساد على جب المنصالح ، ومن أوسع ما كتبناه في ذلك بيان
مقالة فلسفية اجتماعية عنوانها (الجنسيات العثمانية . واللغات التركية والعربية) نشرت
في منار رجب سنة ١٣٢٧ أي بعد الدستور بسنة واحدة ، يثا فيها بالدلائل والحجج
القوية أن محو جنس من البشر بادغامه في جنس آخر قد صار في هذا العصر محالاً ،
وان الدولة العثمانية لا تستطيع أن تجعل غير الترك فيها تركاً ، وانها لو كانت تستطيع
لهذرتها عليه سياسة لا ديناً ، لانني وأنا مسلم أرى أن الاسلام لا حياة له إلا بحياة
اللغة العربية . وانما حياتها بجمها لغة الخطاب والعلم عند أهلها . ولكن زعماء الجمعية
المعرويين الاغرار ، كانوا يرون أنفسهم قادرين على الحال

لا عجب ولا غرابة في الامر . فان أولئك الزعماء اذا لم يسمعوا حجج تلك
المقالة ولم يشعروا بها فقد كان لهم على غرارهم مانع من نشوة الغرور بخضوع
العثمانيين لهم ، وتقديسهم لجمعيتهم ، واغاضتهم الدنانير والدراهم عليهم ، ومن سكر
الاعجاب ببناء الجرائد الاوربية على رجال الاقلاب العثماني - وان كان المستحق لهذا
التناء هو صادق بك والضباط الذين اتبعوه من دونهم - ولكن العجب والغرابة في
استمرار أكثر العثمانيين على الاغترار بهم بعد السنة الاولى للاقلاب ، وأعجبه وأغربه
ما كان من العرب الذين لم يهتم الاتحاديون بشيء اهتمامهم بمحو لغتهم وازالة جنسيتهم ،
أو اضاعفها وانهاك قواها ، ليستريحوا من إدلالهم بالكثرة والدين الذي يخيفهم منه
على السلطة التركية ما في كتب العقائد وكتب الحديث من كون الخلافة في قریش
والائمة منهم ، وان لم ينازعهم العرب في جعل الخلافة فيهم ،

وكل ما يوجد من هذا القليل فيما نعلم أن بعض أصحاب الدسائس والمطامع في
مصر كانوا يستغلون وسواس السلطان عبد الحميد فيوهونه ان للعرب جمعية أو جمعيات
تسمى للخلافة سعيها ، فكان بعضهم يرسل التقارير السرية الى المايين في ذلك حتى
تجراً مصطفى كامل على الجهر بالارجاف بهذه الفتنة في لوائه ، في أول العهد بانشائه ،
وكبر الوهم فيها وعظمه بزعمه أن بعض الامراء يساعد هؤلاء الساعين على سعيهم .
وقد أنكرنا على اللواء الارجاف بهذه الفتنة في المجلد الثاني من اثمار فسكران انكارنا
هذا هو السبب الاول في طعن ذلك الرجل وأخلافه فينا (كما أنكر المؤيد عليه ذلك مراراً)
فلما زالت سلطة عبد الحميد ودالت الدولة لفتيان الترك الاحرار الذين كنا
نسعى معهم سعيّاً واحداً الى ازالة الاستبداد السابق ظناً أننا استرحنا من الدسائس ،

(المنار ج ١٦م) افساد مصطفى كامل وفريد وشاويش بين العرب والتürk ٦١

التي يروجها المفسدون في سوق الوساوس ، ولكن رأينا زعماء جمعية الاتحاد والترقي لم يدعوا سيئة من سيئات العهد الحميدي الا وأعادوها بنقطة ، فهم بعد أن أرسلوا مفتشهم وجواسيسهم الى جميع البلاد العربية حتى الحجاز فلم يروا من العرب الا الاخلاص السكامل للدولة ، ولم يشموا في بلادهم أدنى رائحة لشيء يسمى الخلافة العربية، وبعد أن أغروا شريف مكة بآبن سعود ، وأمام البين بالسيد الادريسي ، وليس عند العرب قوة حربية تذكر الا ما عند هؤلاء - وبعد أن رأوا جميع كتاب العرب في مصر وسورية والعراق يتنون عليهم ويداسون عنهم ، وليس عند العرب قوة أدوية الا ما عند هؤلاء - بعد هذا كله رجحوا سعاية المفسدين على البراهين الحسية ، وأصفوا الى المرجفين بالخلافة العربية ، فتقرب شياطين العهد السابق واخلافهم اليهم ، اذ رأوهم يحسبون كل صيحة عليهم ، وعاد محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش الى مثل إرجاف سلفهما (مصطفى كامل) بهذه المسألة فأعادوها في جريدتهم (العلم) سيرتها الاولى في جريدته (اللواء)

ولما كانت الشيخ عبد العزيز شاويش أشد غلواً وتهافتاً من مصطفى كامل لم يكتف باتهام جماعة الدعوة والارشاد بهذه التهمة بل طعن في جميع مسلمي العرب فكتب في جريدة العلم ان الدولة السلية لا يخشى عليها من البلغار ولا من الروم ولا من الارمن ولا من نصارى العرب وانما يخشى عليها من مسلمي العرب خاصة . ولاجل هذا التلويق قربته جمعية الاتحاد والترقي منها ، وجعلته من دعايتها وأعوانها ، وأنشأت له مطبعة وجريدة يومية في الاسكندرية كانت تنفق عليها من مال الحكومة زهاء ٣٥٠ جنياً عثمانياً في كل شهر

ثم جاءت الحوادث تكذب هذا الارجاف فان الحكومة الاتحادية حاربت عرب اليمن ، ونكلت بعرب حوران والكرك ، وعرضت عرب طرابلس الغرب ليران ايطالية ، ومع هذا كله لم يزدد العرب الاتعاق بالدولة وإقداما على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيلها . وما رأينا من الامراء الذين أوجف بهم اللواء أولا والعلم ثانيا والهلل العثماني ثالثا الا التجدد العالية للدولة والمساعدة التامة لها ، وهي في أخرج موافقها . وبعد هذا كله ترى كثيرا من الناس لا يفقهون ولا يعتبرن ، ولا يميزون بين المصلحين والمفسدين نعم ان العرب قد ظلوا على اخلاصهم للدولة ولكنهم ليسوا حجارة ولا حديد فتمر عليهم هذه الكوارث ولا تؤثر في نفوسهم . ألا إنها قد أثرت شر تأثير . وهو اني اليأس من الدولة قد دب ديبه الى قلوبهم وخصوصا بعد حمل الجمعية مولانا

٦٢ يئس العرب من الدولة واخلصهم لها (المار ج ١ م ١٦)

السلطان على حل مجلس المبعوثين الذي ضعفت فيه السطة الاتحادية . وتأليفهم مجلساً جديداً بقوة الحكومة بعد الضغط على الصحف وحرية الاجتماع وغير ذلك .
يئسوا من عد الدولة إياهم عضواً صحيحاً منها كاخوانهم الترك أولاً، ومن إصلاح الدولة ثانياً ، ومن بقائها ثالثاً ، إلا أن تزول منها مفاصل الاتحاديين وتنشأ خلقاً جديداً .
ومن العجائب أن يؤسهم هذه لم تدفعهم إلى القيام بمشروع ما لحفظ وجودهم وحفظ سلطة الاسلام في الارض . بل ظل لسان حالهم يقول : ان بقيت الدولة نعيش معها بجزأ وذل كيفما اتفق لنا، وإن ماتت غوت معها، ولا خير لنا في الحياة بعدها .
وانني اذكر من شواهد اليأس الاول من هذه اليئوس ما سمعته من أحد أفراد حزب الاتحاد والترقي من العرب بعد استعراض الجيش العثماني في روابي الاستانة امام ملك البلغار سنة ١٣٢٨ وكنت حضرت هذا الاستعراض في خيمة المبعوثين فلما انتهى وأردنا الذهاب قال لي ذلك المبعوث العربي الاتحادي « متى يكون لنا جيش منظم مثل هذا ؟ » فكانت هذه الكلمة كجذوة نار وقعت في قلبي اذ علمت منها ان هذا المبعوث الذي كنا نعد وجود مثله في الاتحاديين سبباً لحسن الظن فيهم ، قد أداه اختبار الصبح لهم إلى الاعتقاد بان جيش الدولة ليس جيشاً لنا . وانما هو في الغالب علينا

هنا يخطر في بال كل قارئ هذا السؤال : اذا كان هذا هو اعتقاد هذا المبعوث في الجمعية فلم بقي فيها ؟ وعندي جواب هذا السؤال فاني كنت ألقينه عليه قبل تلك السنة التي قال فيها كلمته النارية فقال : اسكت انني علمت ان زعماء هذه الجمعية اذا أحسوا بأن أمر الدولة أشرف على التفات من أيديهم فأنهم يرضونها للزوال دون ذلك . ولهذا أرى أن بقاءنا معهم خير من تركنا إياهم !!

هذا بعض تأثير تهيج الاتحاديين للعصية الجنسية ومحاولتهم تريك العناصر حتى العرب الذين هم أخلص الخلقين للدولة وقد ظهر صدق إخلاصهم لها بالبرهان والعيان .
وناهيك بكفاحهم في طرابلس الغرب ، وبلائهم في هذه الحرب ، وهل يخفى على بصير ما لليأس من الغوائل وسوء التواقب . وأما تأثيره في اللبنانيين فقد كان ظاهراً وهو الذي أزال سطة الجمعية من الدولة . وأما تأثيره في نصارى أوربة العثمانيين من البلغاريين واليونانيين والصربيين فهو أنني أوقد نار هذه الحرب وكان أكبر شرها وويلها على الترك والمستتركن الذين هم الاتحاديون حقوق جميع العناصر وقصدوا اذها ذبحهم، وما كان أغصهم عن ذلك !

كان المفتونون بخداع الاتحاديين من مسلمي العرب يخططون أهل البصرة من اخوانهم اذا طالبوا الدولة بالعناية بتعليم اللغة العربية في مدارسها ، وجعل القضاء والحكام في الولايات العربية من العارفين بلغة أهلها ، وما كان حجتهم إلا أن قالوا انكم اذا طلبتم هذا فتفتح الباب لنصارى مقدونية لطلب مثله لانفسهم ، ظانين ان رضانا بهم ضم حقوقنا يكون سببا لرضاء أولئك بمثل ما نرضى به وبدونه . جاهلين أنهم لا يرضون بمثل تلك الحقوق التي يحملونها على السكوت عن طلبها ، وإن كان صلاحا وصلاحي دولتنا لا يكونان الا بها ، وانما وجهتهم انفصال ولا ياتهم من الدولة البتة ، واتصال كل شعب منها بالدولة التي هو من جنسها .

بل جهل هؤلاء المفتونون بخداع الاتحاديين انه لولا نصارى الولايات العثمانية الاوربية لما خطر في بال أحد من رجال دولتنا واخواننا الترك فكرة الحكومة النيابية . ولا حاجة الى شرح هذه المسألة الآن وانما موضع العبرة الذي اقتضت الحال بيانه هو ان جمعية الاتحاد والترقي جعلت الدستور خدعة هؤلاء الناس وللدول التي تنتصر لهم . وأما مسلمو العثمانيين من العرب والارمن والترك فلا قيمة لهم عندها لانها تعتقد انها تدبر أمرهم بالقوة القاهرة . فكان غرورها هذا مهيجا هؤلاء النصارى وحاملا ايهم على الحرب الحاضرة بعد ان رأوا الجمعية تفرقت جميع العثمانيين من الدولة وأضعفت قوتهم بها ، وأحدثت مفاصد أخرى أضعفت قوتها المادية والمعنوية . وهو ما يننا بعضه في المقالة الاولى وسنبين بقية المهم منه في المقالات الاخرى

﴿ احوال مسلمي الصين ﴾

مسلمو مدينة نانكين في الصين

نانكين مدينة من كبريات المدن الصينية المشهورة بتجارها . سكان هذه المدينة زهاء مليون نسمة والمسلمون منهم مقدار مسلمي (بكين) في السكنة . ومنهم أناس أولو ثروة طائلة وتجارة كبيرة . وهم أرقى مسلمي الصين على الاطلاق في دنياهم ، اذ أكثر الموظفين في دوائر الحكومة منهم ، وكذلك منهم أكثر المعلمين في المدارس ، ويعد المسلمون في هذه الولاية أرقى علما وفكرا من سائر أهلها ولكن لم يمدحهم عن العاصمة « مدينة بكين » التي هي مركزهم الاسلامي لا يعرفون من الاسلام غير كلمة التوحيد

٦٤ جمعية نشر الاسلام والمعارف في الصين (المارچ ١٩٨٠)

والسلام ، والمستبثرون منهم قد عرفوا أخيراً أي بعد حصولهم على الحرية وجوب تربية أولادهم على روح الاسلام فأسسوا في مدينة نانكين جمعية باسم « جمعية نشر الاسلام والمعارف »

لهذه الجمعية مقاصد (احدها) بيان حقيقة الجمهورية للمسلمين والدلالة على طرق الاستفادة منها ، ولذلك يطبعون رسائل مختصرة في لغة الصين وينشرونها بين المسلمين في البلاد والقرى ويخطبون بذلك في الجامع ، وأكثر ما يهتمون به هو شؤون الانتخابات يجتهدون كثيراً في انتخاب نواب الولاية من الذين يحبون الاسلام ويسعون لخير المسلمين

(ثانياً) افتتاح المكاتب الابتدائية والرشدية في احياء المسلمين كلها ، ونشر لسان العرب وبيان حقيقة الاسلام للاهالي ، وتكثير سواد المسلمين الحقيقيين (ثالثاً) الاجتهاد في محو العادات والاخلاق الفاسدة المتمكنة من المسلمين ، وافتتاح المكاتب الصناعية لازالة الكسل والفقر منهم . ومسلمو الصين لجهمهم وتمصبهم المفرط لعوائدهم لا يشتغلون بما يشتغل به الوثنيون . من الصناعات فيستكف أحدهم أن يكون حداداً أو خياطاً أو ساعاتياً (مصلحاً للساعات) لان الوثنيين يشتغلون بهذه الصناعات وينفرون ممن هذه صناعته من المسلمين فبجهلهم هذا وتمصبهم الزائد صارت منزلتهم في التجارة والصناعة متأخرة جداً بالنسبة الى غيرهم وبلغوا نهاية قصوى من الفقر ، وبسعي هذه الجمعية أخذوا يعلمون في المدارس الصناعية ويشغلون ببعض الصناعات كالحياطة .

ومن مقاصد الجمعية أيضاً السعي في انتخاب العلماء لتصب الامامة في المساجد من الذين يستحقونها

والحاصل أن مقصد الجمعية السعي في ترقية المسلمين وازالة أسباب الفقر وفساد الاخلاق من بينهم . واتقاهم من المهانة في الدنيا والخسار في الآخرة . والجمعية تفتح أيضاً شعباً لها في ولايات خاتمو شانغاي . وسيجوان . وأرسلت نور الدين اقدي وثلاثة آخرين من زعمائها الى تلك البلاد للتشاور بينها وبين مسلميها واختيار أعضاء منهم للجمعية . ولها الآن أكثر من عشرة آلاف عضو في مدينة نانكين وولاياتها . فاذا اجتهد مسلمو الصين على هذه السكيفية من غير فتور يرجى أن يرتقوا في

(ع . أحمد)

مدته يسيرة .

مترجم من جريدة « وقت » (عدد ١٠٥٠)

تقرّبط المطبوعات الجديدة

﴿ العلم الشامخ . في إثار الحق على الآباء والمشاخ ﴾

هذا الكتاب من تصنیف أحد علماء الین المجتهدين « الشيخ صالح مهدي المقبلي المتوفى سنة ١١٠٨ » وكان في الاصل على مذهب الزيدية ولكنه قرأ كتب الكلام والاصول وعرف مذاهب الفرق كلها وكتب التفسير والحديث وسائر العلوم، وطلب بذلك الحق ومرضاة الله تعالى فاتهى به ذلك الى ترك التمدب، وقبول الحق الذي يقوم عليه الدليل، وقد شهد له الامام الشوكاني بالاجتهاد المطلق . وهو يشرح في هذا الكتاب أمهات المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب الشهيرة كالاشعرية والمعتزلة وأهل السنة والشيعة الزيدية والامامية وكذا الصوفية . ويبين ما يظهر له أنه هو الحق لا يتعصب لمذهب على مذهب، وهذا هو مراده، الذي يدل عليه اسم كتابه . وقد توسع في الكلام على مسائل التحسين والتقبيح العقليين، والكسب والاختيار والجبر، وأفعال الباري تعالى وأفعال العباد، ورواية الحديث وقدها، والجزاء والتوبة، واقتراح المسلمين والفرقة الناجية المشار اليها في الحديث، والطائفة التي تبقى ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها فيه . وعنده ان أهل الحق يكونون من مجموع المسلمين لا من أهل مذهب معين . وبين في هذا المقام مفاسد الخلاف بين المسلمين ومضاره . ومسألة وحدة الوجود وحقيقة حال أهلها . ولا تكاد نجد كتاباً منشوراً تعرف منه حقيقة مذهب المعتزلة والزيدية غير هذا الكتاب، ومنه تعلم ان أكثر ما تجده في كتب الفوائد المتداولة من مذهب المعتزلة خطأ لأنه من نقل الخالفين لهم نظروا اليه بعين السخط، ونقلوه بالمعنى لا بالنص، وتصرفوا فيه كما فهموا . وهذا يجلي لك صدق قول العلماء ان نقل الخالف لا يعتد به

كان هذا الكتاب من الاسرار والنجابات يكتمه كل من يظفر بنسخة منه اعجاباً به وخوفاً من الناس ان يشنعوا عليه لانه يخالف كل مذهب من المذاهب في بعض المسائل وان لم يخرج عن مجموعها في شيء . وهو شديد الحملة على ما يعتقد بطلانه

قوي الانكار لا يتحصى التشنيع والنيز بالالقب المنكرة ، فهو في هذا الخلق يشبه الامام ابن حزم الذي هجر جمهور الناس كتبه في الاصول والفقه لشدة انكاره على مخالفيه من أئمة الفقهاء ، ونيزهم باقب الجهل وما أشبهه من الالقب . ولولا ذلك لاشهرت كتبه وأخذ الناس بها وترك كثير منهم مذاهبهم اليها ، لأنها في الذروة العليا ، كما شهد بذلك سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشهير اذ سئل عن أحسن ما كتبه المسلمون في الفقه فقال « المحلى » لابن حزم « والمغني » للشيخ الموفق . وأنا أرى ان كتب ابن حزم هي أكبر وأوسع مادة استمد منها شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم . ولكنهما كانا أنزه قلداً وأشد أدباً مع الأئمة

فكتاب « العلم الشامخ » ككتاب المحلى هو من الكتب التي يستفيد منها العلماء الخواص أصحاب العقول والافهام المستقلة والصدور الواسعة ، وقد نقل عنه شيخ الازهر العطار الشهير في حاشيته على الجلال المحلى ، فدل ذلك على ان الكتاب كان يتداوله العلماء ويتناسخونه كما كانوا يتناقلون قبل ذلك كتب ابن حزم .

وقد تصدى لطبع هذا الكتاب منذ ثلاث سنين بعض الشرفاء والفضلاء من الحجازيين والسوريين بعد أن استنسخه بعضهم من مكتبة حسين حسني أفندي الذي كان شيخ الاسلام في دار السلطنة . ولما قيل له اننا نريد طبعه ، قال ومن نجرأ على طبعه ؟ ومن عاش معظم عمره في حجب السلطة الحميدية تحيط به جواسيسها لا يبعد منه ان يقول مثل هذا القول ، على انه رحمه الله كان من أوسع علماء الاستانة صدرأ ، وأشدهم تسامحاً ، وكان مهجماً بالكتاب ضيقاً به ، ولكنه سمح بنسخه ، ولو علم بما يطبع في مصر من كتب الفرق والجدل ومن كتب دعاة النصرانية لرأى الفرق الكبير بين مصر والاستانة حتى في عهدا الذي يسمى الدستوري

طبع الكتاب مع زوائده (الارواح النوافخ لا يثار آثار الآباء والمشايخ) الذي أوضح به مسائله وقدم به كلام من انكر عليه بعضها ، ووضعت له عدة هوامش فيها انتقاد على المؤلف بعضها من النسخة الاصلية يوشك ان تكون للمحقق الشوكاني . وهو مطبوع على ورق جيد وصفحاته تناهز ٨٠٠ صفحة . ولهما فهرس واسع جداً مرتب على حروف المعجم وتضمن النسخة منه ٢٥ قرشاً وأجرة البريد للخارج خمسة قروش وللقطر المصري ٢٥ ملياً وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

(المنار ج ١ م ١٦) بنية الراغبين - كفاية الطالبين - أمراض النساء ٦٧

﴿ رسالة ﴾

بنية الراغبين ، وقرة عين أهل البلد الأمين . فيما يتعلق بهن الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين
تأليف العالم الفاضل السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوي الحسني الأدرسي .
المدرس بالمسجد الحرام ورئيس لجنة عين زبيدة

رسالة تشتمل على ذكر أحوال عين زبيدة التي يستقي منها أهل البلد الحرام
(مكة) والوافدون لحج البيت العتيق مع بيان التصليح والترميم مما أحدثته اللجنة
المشكلة لذلك تحت رعاية صاحب السيادة والدولة أمير مكة المعظم ورئاسة مؤلف
هذه الرسالة ثم بيان خطط البلد الأمين

وقد تبرع السيد عمر الحشاش السكتي بطبع هذه الرسالة اعانة لهذا المشروع الجليل
الذفع العميم الفائدة ومن يطلع على هذه الرسالة يعلم ان اعانات عين زبيدة انما انققت
في طريقها وعلى وجهها ، فنشكر للمؤلف سميه في سبيل الله وخدمة بلده الحرام

﴿ كفاية الطالبين . رد شبهات المبشرين ﴾

تأليف الشيخ محمد عبد السميع حفناوي مدرس اللغة العربية بالمعاهد الحرة صفحته ١٣٣
بمطبعة الاسلام والنصرانية مطبوع بمطبعة أبي الهول بالقاهرة سنة ١٣٣٠ على ورق نظيف متوسط
ثمنه ثلاثة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

موضوع الكتاب الرد على دعاة النصرانية وقد أبطل المؤلف به ادعاء
النصارى كون كتبهم كتبت بالهام من الله ، وبين اختلافاتها وأغلاطها وأنهى على عقيدة
التثليث ببراہين وأدلة عقلية وكذلك فعل في نفي الشريك والولد عن الله تعالى وفي ابطال
ما يمسك به النصارى من صلب المسيح وتكلم على حقية القرآن ووجوه اعجازه
وفي نبوة سيد الانبياء (ص) مستدلاً على ذلك بنصوص كتبهم التي يسمون بمجموعها
الكتاب المقدس ورد شبهات أولئك الدعاة وحتم الكتاب بمقابله بين آيات من
القرآن الشريف وجل من المهد العتيق والمهد الجديد

﴿ كتاب أمراض النساء ﴾

تأليف الدكتور نجيب بك محفوظ الطبيب بمستشفى القصر العيني الاميري صفحته ١٧٦ بقطع
الاسلام والنصرانية طبع بمطبعة التوفيق ويشتمل على ٤٥ شكلاً من أشكال الاعضاء والادوات
يباع بمشرين قرشا في المكتاب الشهيرة بمصر

هذا الكتاب من الكتب العلمية السهلة الفهم التي تقيد مطالعتها الخاصة والعامة

﴿ كتب هذا التقرير وما بعده من التقارير شقيقنا السيد صالح غلص رضا

٦٨. الفتوحات - التسهيلات - حكم النبي محمد - أمالي عبد الرزاق (المنازع ١٦١)

خصوصاً الذين يعملون الجراحة بغير اللغة العربية فنشكر لمؤلفه على اجتهاده وتبني كتابه الانتشار ليعم نفعه

كتاب الفتوحات الالهية . في مجمل العلوم الازهرية وكتاب التسهيلات الالهية في أصول الحنفية والشافعية

كلاماً تأليف الشيخ أحمد بن محمد درويش القاضي الشرعي وأحد علماء الازهر .

طبع الكتابان في القاهرة بمطبعة مقداد على ورق نظيف بقطع المنار صفحات الاول منهما ٢٧ تكلم فيه مؤلفه في تعريف أشهر العلوم الازهرية تعريفاً أزهرياً مصطلحياً وبيان موضوعاتها وفوائدها ومسائلها وصفحات الثاني ٢٠٠ واسمه يدل على موضوعه ويطلبان من مكتبة المنار بمصر

﴿ حكم النبي محمد ﴾

للفيلسوف تولستوي . تعريف سليم أفندي قمين . صفحاته ٧٧ بقطر تفسير النافذة مطبوع بمطبعة التقدم بمصر ويطلب من مكتبة المنار وثمان قرش واحد صحيح

بحث مؤلف هذا الكتاب في حالة المسلمين الدينية في روسيا وشرح ما قاسوه من الاضطهاد بسبب دينهم وما منحهم اياه القيصر نقولا الثاني من حرية عود المتصرين جيراً الى دينهم ومن حرية المدافعة عن الدين ونشر الجرائد بلغة المسلمين الى غير ذلك ثم استطرد الى بيان أخلاق المسلمين وتعظيم القرآن للمسيح وأمه وأفرد فصلاً للكلام على النبي محمد { ص } تكلم فيه عن حالة العرب قبل ظهور الاسلام وأورد آيات من القرآن للحكم على الدين الاسلامي فيها التوحيد الخالص والاحكام العمومية وأبان ما كان للدين الاسلامي من الاثر الصالح في العالم وأورد طائفة من الاحاديث النبوية في الاحكام والحكم ومكارم الاخلاق ، وتكلم على الحجاب وبين مفسد التهتك الخ ولكن فيه شيئاً من الغلط ومن التحريف المطبعي ، ولو قوبلت الحكم بأصلها من القرآن والاحاديث لكان أقوم قليلاً

﴿ أمالي الشيخ علي عبد الرزاق من علماء الازهر في علم البيان ﴾

صفحاته ١٢٢ بقطر أسرار البلاغة طبع سنة ١٣٣٠ بمطبعة مقداد على ورق نظيف ويباع بخمسة قروش في مكتبة المنار ومكتبة النيل

هذا الكتاب هو مجموعة أمالي القاهما المؤلف دروساً في الازهر سنة ١٣٣٠ هـ

(المنارج ١٦م) الجرح والتعديل - العلاج الجراحي - التشريح الجراحي ٦٩

ثم جمعها في كتاب على حدة فجاءت كتاباً وافياً بالغرض حسن الأسلوب سهل الفهم ولم أرَ لعالم أزهرى لهذا العهد كتابة محررة مختصرة مفيدة تدل على تفكير الكاتب وتوخيه الاستفادة والفائدة مثل هذا الكتاب وان القارئ ليقراه فيفهم فن المعاني مجرداً

﴿ الجرح والتعديل ﴾

رسالة من تأليف عالم الشام العامل الشيخ جمال الدين انقضي دمشقي نشرت في المنار وجمعت فجاءت ٤٠ صفحة بقطع المعار على حدة وتمنأ قرشاً وهي تطلب من مكتبة المنار بمصر ومن مؤلفها في دمشق الشام

هذه الرسالة هي الحكمة التي تكم أفواه الحشوية ومتعصي الفرق وترجع من إلى سماحة الاسلام ببيان ما جرى عليه العلماء الاعلام مثل البخاري وغيره من اعتبار رواية الفرق التي يكفر أهلها اليوم جهة المقلدين والحشوية . وتبين اضرار التعصب للمذاهب ميلا مع الهوى، وتكون خير عون للمصلحين، على جمع كلمة المسلمين، والتأليف بين المختلفين

﴿ العلاج الجراحي ﴾

الجزء الاول منه

تأليف ولیم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قلوب صفحاته ١٩٥ بقطع المنار طبعة سنة ١٩١٢ بمطبعة المعارف بمصر طبعا نظيفاً على ورق جيد وهو مزين بالرسوم الملونة والاشكال التي بلغت عشرين شكلاً ويطلب من معربه بقلوب ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه عشرة قروش خلا رة البريد

مواد الكتاب « البكتيريولوجية { العدوى المناعة } ، الالتهاب ، فحص الدم في حالتي الصحة والمرض، العدوى الصديدية غير النوعية ، التفرح ، الغنغرينة أسلوب الكتاب يسهل حتى على الغريب عن فن الجراحة وما هو الا خدمة جديدة ضمها المغرب الى خدماته السابقة

التشريح الجراحي

الجزء الاول منه

تأليف فردريك لريف وارثر كيث وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد أيضاً صفحاته ٢٥٢ بقطع الاسلام والنصرانية طبعة في مطبعة المعارف طبعة نظيفاً على ورق جيد مزين بالصورة الملونة التي بلغت ٤٥ شكلاً وثمنه عشر قروش ويطلب من معربه ومن مكتبة المنار بمصر

مواد الكتاب: فروة الرأس، قبوة الجمجمة، محتويات الجمجمة، الحجاج والمين،

٧٥ بلوغ المرام - التبيان في تخطيط البلدان (المنار ج ١ م ١٦)

الانف وتجاويفه، الوجه، الفم واللسان والحناك والبلعوم، العنق، وأسلوبه كاسلوب
سابقه بل كسائر مميزات الدكتور محمد عبد الحميد الذي يفيد لغته وأمته بما يقدمه
حيناً بعد حين من الآثار النافمة

(بلوغ المرام من أدلة الاحكام)

تأليف شيخ الاسلام قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر المسقلاني
صنعتاه ٢٧٨، بقطم المنار طبعه بمطبعة التمدن الشيخ عبد الرحمن بدران السكتي وشريكاه على
ورق متوسط وأتمه سبعة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

الكتاب مجموعة أحاديث مخرجة مرتبة على أبواب الفقه، وزاد فيه باب الادب
فيجدر بكل من يروم فقه الدين من السنة ان يطلع على هذا الكتاب

كتاب التبيان في تخطيط البلدان

« الجزء الاول منه »

يشمل الدروس التي ألقاها بالجامعة المصرية العالم المؤرخ اسماعيل رأفت بك استاذ الجغرافية
وعلم الشعوب (قبوغرافية) بها ومدرس الجغرافية والتاريخ العام بمدرسة دار العلوم صفحاته
٤٩٩ بقطم المنار طبعه بمطبعة محمد مطر الوراق بمصر سنة ١٣٢٩ وله خرائط للاستعانة على
توضيح الجاه وبيع بعشرين قرشا في مكتبة المنار بمصر

معظم ماقرأه من كتب الجغرافية العربية انها أشبه بالنقل منها بالتأليف ولكن
كتاب التبيان على العكس من ذلك فان مؤلفه قرأ وبحث وبحث ونظر فكتب، وانه
لخيل الى القارئ ان المؤلف سائح خريت جاب القارة الافريقية وأثبت مشاهداته
في مؤلفه هذا

والكتاب يتناول قارة افريقية وقد وصفها بأوصافها الطبيعية والاقتصادية
والسياسية والجوية وذيل الكتاب بفهرس ذكر فيه أسماء مشاهير المكتشفين
والسياح الذين مر ذكرهم في الكتاب وكتبها بالحرف اللاتيني والحرف العربي ليرجع
القارئ الى ما كتبه عنهم في أسفل صحائف الكتاب بسهولة

وحبذا لو أتم المؤلف كتابه على هذا النمط فان اللغة العربية في أشد الحاجة الى
كتاب جغرافي عمومي مطول

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

الحرب البلقانية الصليبية

لقد بدا للناس من هذه الحرب ما لم يكونوا يحتسبون ، فقد كانت أقوال صحف أوروبا تدل على أن الأوربيين كالألمانين يظنون أن كفة الدولة العثمانية تكون هي الأرجحة ، وكفة البلقانيين تكون هي المرجوحة ، ولذلك صرحت الدول الكبرى بأنها متفقة على أن هذه الحرب لا تغير شيئاً من الحال الحاضرة ولا من خارطة البلقان. فلما ظهر رجحان كفة البلقانيين رجعت عن قولها ، وصرحت بأنه ليس من العدل حرمان الدول المتحالفة من ثمرة انتصارها (والعدل عند هؤلاء الناس لا يجوز أن يتعدى أبناء جنسهم وأهل ملتهم ودينهم) بل تجاوزت ذلك إلى محاولة إكراه الدولة العثمانية وقسمها على أن تعطي الصليبيين ما فتحوا من بلادها وما أعياءهم فتحه كأدونة ، وقد أجمعت ذلك دول الثلاث كاهن سواء منهم من أبدى ناجزي الشر للدولة وأظهر ضلعه وتمصبه للصليبيين كدول الاتفاق الثلاثي ، ومن جامل العثمانيين بالقول بعض المجاملة كدول التحالف الثلاثي

فهم أن ما ظهر من ضعف الدولة العثمانية وخلها هو ما لم يكن يحتسبه كله أحد ولا الأوربيون الذين يعبرون عنها بالرجل المريض ويرون أنها بهذا المرض تكاد أن تكون حرضاً أو تكون من الهالكين . وهكذا شأن الناس في تقدير أحوال من ضعف بعد قوة عظيمة ، أو افتقر بعد ثروة كبيرة ، فانهم يتصورون شيئاً من ماضيه مع تصور حاضره ، ويستخرجون النتيجة من مقدمات من التاريخ الماضي زالت مع زمنها ومن مقدمات التاريخ الحاضر . وكذلك يخطئون في تاريخ حال من دخل في حياة جديدة ، استصحاباً لشيء من ماضيه يمزجونه بما عرفوا من حاضره ، حتى تأتي الحوادث والوقائع الكبيرة بما لم يكن في الحسبان ، كما رأينا في حرب الروسية واليابان ، ولكن العبرة في رجحان البلاغ على الترك أكبر ، والتفاوت بين الفريقين فيها أعظم وما ظهر وبان ، هاجما من وراء حدود الحسبان ، شيء آخر كان كثير من

٧٢ افساد ساسة أوربة وقسوسها للشرق والمسلمين (المأرج ١٦م)

من المفرورين بمدينة هذا الزمان ، يظنون انه من وراء حدود الامكان ، وهو طغيان صليبي البلقان الظافرين ، على أبناء وطنهم المسلمين المسالمين ، واسرافهم في قتلهم وتمذيبهم ، وهتك أعراضهم وسلب أموالهم ، وانهم ليقولون النساء والاطفال ليقول عدد المسلمين في البلاد ، حتى ألجؤا بعضهم الى الخروج من الاسلام ، واتحال النصرانية حفظاً لانفسهم ، وصيانة لأعراضهم وأموالهم . وقد شهد قضاةهم هذه كثير من مكاتب الصحف الاوربية من الشعوب المختلفة وبعض وكلاء الدول السياسيين (القناصل) وذكرت الجرائد الاوربية والتركية كثيرا من حوادثه تقشع منها الجلود ، وثقت لهولها الكبود

ولم يكن عجب اناس من اقتراف البلقانيين لهذه الجرائم والجنايا ، والفواحش والمنكرات ، وجهلهم ذلك باسم الصليب في سبيل المسيحية ، كعجبهم من الدول والشعوب الافرنجية في أوربة وامريكة لسكوتهم عنها ، بل اقرارهم اياهم عليها ، فهل هذه هي المسيحية التي يذلول الملايين في سبيل دعوتها اليها ، وهل هذه هي الانسانية التي يقتخرون بدعواها ؟ ؟

اختلفت دعاة النصرانية في مؤتمهم الذي عقدوه للنظر في وسائل تنصير المسلمين : هل إله المسلمين هو إله النصارى أم لا ؟ فقال قس من أكبر قسوسهم ان إله المسيحيين ، غير إله المسلمين ، لانه دين محبة ورحمة ، وإله المسلمين ليس كذلك !!!

فأين هذا القس المحب الرحيم الآن ؟ لا أراه الا فرحا مسرورا مع تومته بفضائع الصليبيين في البلقان ، فانه هو وأمثاله قد اتخذوا المسيحية آلة للشهوات واللذات وسعة الملك واستعباد الأمم والشعوب ، وهم أبعد خلق الله عن دين المسيح عليه الصلاة والسلام وعن دين بولس الذي تمثله الكتب والرسائل التي يسمونها العهد الجديد أيضا وإذا كان هذا شأن رجال الدين فيهم فكيف يكون شأن رجال السياسة المتافقين الذين ينفثون في أرواحهم سموم العصبية الدينية ويغرونهم بافساد عقائد الناس ، ويعينونهم على ذلك بالنفوذ والمال ، وإذا لقوا أحدا من أهل الملل الذين يغرونهم ادعوا انهم بمقتون العصبية الدينية وأهلها ، وانهم لا يدينون بدين الا دين الانسانية العامة ، وهم بهذا الوجه الذي يلقون به المسلمين وغيرهم من أهل الملل الشرقية الخالفة أشد افسادا في الدين والاجتماع من دعاة دينهم ، فان الذين أفسد عليهم الافرنج دينهم باسم الانسانية ، أضعاف اضعاف الذين أفسدوا عليهم دينهم وديانهم باسم المسيحية

(المنار - ج ١ م ١٦) تعصب الاوربيين وانخداعنا بهم ٧٢

صدق هؤلاء المنافقين تلاميذهم ومريدوهم من المسلمين وغيرهم وظنوا فيهم الخير ، وتوهموا انهم بترك الدين وحل رابطته والدعوة الى رابطة أخرى يساكون طريقهم في الترتي المادي ، وإنما يهرون في مهواة التدلي والافتراض الا انه قد وجد فينا الحكماء العارفون وطالما حذروا وأنذروا ، فعلت أصوات الخادعين أصواتهم فلم تعتبر بها الامة . واتما نذكرها الآن بنبذة من مقالة التعصب احدى مقالات العروة الوثقى التي نشرناها في المنار من قبل ونقلتها بعض الصحف ، وهي منشورة أيضا في بعض الكتب .

بين الاستاذ الامام رحمه الله في أول تلك المقالة معنى التعصب في اللغة والاصطلاح ومفاسد الغلو فيه ومدح الاعتدال ، وما ثبت في التاريخ من غلو الاوربيين في تعصبهم ، وابادتهم للمخالفين لهم ، وتسامح المسلمين وتساهلهم ، ثم بين غرضهم من تفتير المسلمين خاصة من التعصب الديني مطلقا وان كان معتدلا لا يترتب عليه شيء من إيذاء المخالفين ، وهو أن حلوا رابطتهم ، ويتمكنوا من إزالة سلطانهم ، وبين كون الموافقين لهم انخدوعين بسحرهم ، يخربون بيوت أنفسهم بأيديهم وأيدي أعدائهم ، ثم قال :

« هذا أسلوب من السياسة الاوربية اجادت الدول اختبارده ، وجنت ثماره ، فأخذت به الشرقيين لتال مطاعمها فيهم ، فكثير من تلك الدول نصبت الجبائل في البلاد العثمانية والمصرية ، وغيرها من الممالك الاسلامية ، ولم تعد صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة ، واستعماتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم ، وليس عجيبا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الالهواء الباطلة ، ولسكننا نوجب من أن بعضا من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم ، وثباتهم في ايمانهم ، يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني ويلهجون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ، ولا يعلم أولئك المسلمون أنهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شأنهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المارقين . يطلبون محو التعصب المعتدل وفي محوه محو الملة ودفعها الى أيدي الاجانب يستعبدونها مادامت الارض أرضا والسماء سماء . والله ما عجيبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لأحوال الغربيين من الالم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تبشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج أشد الناس في هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ، ومن القواعد الاساسية في

حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم، وإذا عدت عادة مما لا يخلو عنه الاجتماع البشري على واحد من على دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق، سمعت صياحا وعويلا وهيمات ونباتات تتلاقى أمواجها في جو بلاد المدينة الغربية وينادي جميعهم : الا قد أملت ملمة ، وحدثت حادثة مهمة، فأجمعوا الامر وخذوا الأهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لاتخدش الجامعة الدينية : وتراهم على اختلافهم في الاجناس ، وتباغضهم ومحاقدهم وتباذهم في السياسات ، وترقب كل دولة منهم لغرة الاخرى حتى توقع بها السوء ، يتقاربون ويتألفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في أقصى قاصية من الارض، ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية. أما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر وجه البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتعافلون عنه ويذرونه وما يحرف حتى يأخذ مده الغاية من حده ويذهلون عما أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والرحمة الطبيعية كأنما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السامة والهمل الراعية . وليسوا من نوع الانسان الذي يزعم الاوريون أنهم حماة وأنصاره. وليس هذا خاصا بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يمتدقون بالله وكتبه ورساله. يسابقون المتدينين في تعصبتهم الديني ولا يألون جهدا في تقوية عصبيتهم، وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيرا ما تجاوزوه . أما أن شأن الافرنج في عسكهم بالعصبة الدينية لغريب . يبلغ الرجل منهم أعلى درجة في الحرية كغلاستون واضرا به ثم لاتجد كلمة تصدر عنه الا وفيها نقطة من روح بطرس الراهب، بل لا ترى روحه الا نسخة من روحه (انظر الى كتب غلاستون وخطبه السابقة) اه

*

وما بدا للمسلمين من هذه الحرب ولم يكونوا يحتسبونه ، أن الدولة العثمانية ليست بالدولة القوية التي يرجى ان تحفظ نفسها من أوربة بقوتها الحربية ، سواء منها البرية والبحرية ، وانما بقاؤها ، بدوام تنازع الدول في اقتسامها ، وان هذا الاقتسام متفق عليه في الجملة ، يختلف عليه في التفصيل ، وان ممالكها في نظره كالارض الموات من سبق الى شيء منه ملكه ، وأن ما يبيده بعضهم لها من الميل والانعطاف

أحيانا - وهو لا يتعدى القول اللطيف والمساعدة السلبية - فانما سببه جر المقيم العاجل كالامتيازات والقروض وبيع الأسلحة والذخائر ، على أنهم صرن يقبضن أيديهم عن إقراضها ولو بالربا الفاحش ويتشددون في ذلك ، وأما ما كان من مساعدة بعضهم لها في الزمن الماضي فسببه تعارضهم في النفوذ والطمع في بلادها أيضا وقد ارتقوا عن هذه الدرجة الآن

عرف خواص المسلمين هذه الحقائق في الاقطار الكثيرة ، وشعر به عوامهم في مصر وولايات السلطنة أيضا ، ناصبهم من الغم والكآبة ما وجلت له القلوب ، وذرفت لأجنه العيون ، وطفق الناس يتساءلون ، عن النبأ العظيم الذي فيه مختلفون ، وهو كيف يكون حال الاسلام والمسلمين ، اذا صارت هذه الدولة في عداد الغابرين ؟ ان أصحاب هذه الدولة يجحدون ويجهدون في هدمها منذ قرنين أو أكثر وكانت بعض الدول الأوروبية تدعهم الى الاسراع في الهدم ، وبعضها تدعوهم الى التريث فيه ، وقد اشتد الهدم على عهد عبد الحميد ولكن من وراء الحجب والاستار ، وفي حنادس الظلمات ، وأما بعد سقوطه فقد صار الهدم أشد ، ولكن الهادمين يسعون أنفسهم البنائين الاحرار ، وصار آيين وأظهر لانه يؤتى في ضوء النهار .

لقد كان جهل المسلمين بحقيقة حال هذه الدولة ، أكبر مصائبهم ومصائب الدولة ، ولو كانوا يعرفون كنه حالها ، منذ تبهوا لانفسهم ولها - أي من عهد انكسارها في حرب الروسية الاخيرة - لاجتهدوا في اصلاح أنفسهم وإصلاحها ، ولكنهم اغتروا وخذعوا بها ، وأمدتهم جرائم المنافقين في غرورهم ، فحسبوا انهم دولة قوية عزيزة تقيم شرعهم ، وتعلي كلمة دينهم ، وتدافع عنه وعنهم ، وكلم بينهم وأنذرناهم فثاروا النذر ، ولا يزال كثير منهم على غرورهم ، كما يدلنا على ذلك تجاوب اقتراحهم عليها لإدامة الحرب ، وكراهتهم لما جنحت اليه الوزارة الكاملية من السلم ، وعقد الهدنة للبحث في شروط الصلح ،

ان كل ما عرفناه من مساعدة العالم الاسلامي للدولة في حربها هذه هو أنهم أمدوها بإعانة لا تتجاوز نصف مليون من الجنشيات الا قليلا ، الا ان يكون هنالك إعانات خفية عنا وعن غيرنا . وليس هذا بالذي ينهض بمثل هذه الدولة الكبيرة ، ولا اظهار الفيرة عليها ، بالذي يدفع عدوان الدول عنها ، بل يخشى ان يكون مغريا لدول الاستعمار بالتعجيل عايتها ، فاننا لا أزال أعيد ما بدأت من القول بأن الدولة على خطر ، وحل المسألة الشرقية أقرب غائب ينتظر ، وادعو عقلاء المسلمين خاصة الى التفكير في

المال ، وإعداد ما يستطيعون له من العدة والمال ، وما بعد بذل الجهد الا العزم والاتكال ، واني أشير الى شيء من ذلك بالاجمال :

مستقبل الاسلام والمسلمين

أهم ما يهم كل مسلم في الارض أن يكون للاسلام سلطة تقام بها شريعته ، وتحيا بها دعوته ، وقد كان المسلمون لفسو الجهل فيهم ، مغرورين بحكوماتهم ودولهم ، ولم يكن غرور التابعين للدول ذات التاريخ الكبير كالدولة العثمانية ، بأشد من غرور التابعين للدول ذات التاريخ الصغير كسائر الدول الافريقية أو الاسيوية ، ولكن الغرور بالدولة العثمانية تجاوز بلادها الى الملايين من المسلمين الذين استولت عليهم الدول الاوربية في الشرق والغرب . وان هذا الغرور قد أوصل السلطة الاسلامية الى درجة الخطر ، خطر الفناء والزوال . فوجب على كل عارف مخلص أن يصرح للمسلمين بما يعرف ، وقد كنا في السنين الغابرة نكفي ولكن الوقت ضاق عن الكفى ولو عرف جماهير المسلمين كنه حال دولهم وحكوماتهم من قبل لجبد العقلاء في السعي لاصلاحهم وحفظها ولكن الفوز أرجى لهم من الخيبة ، ويجب أن يعرفوا الآن ما جهلوا من قبل وان كان الرجاء في السعي الآن أضعف ، ولكن المسلم لا يأس ولا يقط ، ولقد كان أكبر بلاء الدولة العثمانية من بعض رجالها الذين يتسوا منها ، في الزمن الذي دب فيه الى مسلمي الآفاق الرجاء فيها ، وما زلزل غرور المسلمين ، وأزال بقايا غرور غير الحكام من العثمانيين ، الا هذه الحرب البلقانية فاذا كانت ثمرتها أن نعرف حدنا ، ونهتدي الى رشدنا ، فنعرف كيف ندرء خطر الزوال عنا ، فان هذه الحرب تكون كما قلت من قبل أكبر نعمة علينا

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن وجود الدولة العثمانية في أوروبا هو سبب غرورها وفقرها ومولد الفتن فيها ، وهو الذي جعل رجال الدولة يحرقون بلادها في آسية وأفريقية وجميع الشعوب الذين في هذه البلاد ، فكل قوة الدولة تعد في ولاياتها الاوربية ولولاياتها الاوربية ، ومعظم أموال الدولة تصرف فيها ، وعاقبتها للاوروبيين دون العثمانيين ، لان أوروبا كلها مجمعة على ذلك ولكن تنفذه بالتدرج . فلا ينبغي أن نأسى على ما زول من أملاك الدولة في أوروبا ولا نهرح بما بقي منها ، وانما ينبغي أن نوجه كل عنايتنا الى أملاكنا في آسية ، وأن نقيم بناء الادارة والاصلاح فيها على الطريقة التي يسمونها اللامركزية

(المنار - ج ١ م ١٦) رحلتنا الهندية . شكر علي عام ٧٧

فتجيب العناية قبل كل شيء بجمل كل من يقدر على حمل السلاح في كل قطر من الاقطار جنوداً مستعدين للدفاع عنه اذا هاجمه العدو، وأن يكونوا في هذا متكافلين متعاونين بنظام يوضع لذلك، وأن يكون أول ما يبدأ به من ذلك الحجاز والبلاد المجاورة له، وأن يكون كل ما يجمع من المال لآمنة الدولة خاصة بتحصين الحرمين الشريفين وما حولهما، واعداد تلك البقاع كلها للدفاع عنهما، وبجملهما مثابة للعلوم والفنون باقامة المدارس العامة في المدينة المنورة والطائف. وأن يتولى هذا العمل جمعية علمية اسلامية يختار أعضاؤها من خيار مسلمي الآفاق كلها. فاذا لم يبادر عقلاء المسلمين من العرب والترك والهنود والفرس وغيرهم الى جمع المال لهدى المسلمين والسعي لتنفيذها فوالله ثم والله ليندمن وليعلمن أن اهتمامهم بأدرنة والقسطنطينية لا يعني عنهم من ذلك شيئاً. وليسقطن تحت نير أوربة كل سائقي لهم، حتى كعبتهم وروضة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فليتدبروا ويتذكروا، (وما يتذكر الا من ينسب) وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله تعالى

﴿ رحلتنا الهندية — شكر علي ﴾

كنت أرى من حقوق اخواني مسلمي الهند وعمان والعراق الذين أكرموا مثواي في رحاتي، واحسنوا ضيافتي وبالغوا في مودتي، ان أكتب الى كل واحد منهم كتاب شكر خاص به، وكنت أربص فرصة فراغ أوفيههم فيها حقهم هذا. ولكن قد طال العهد والزمان لم يجد علي بهذه الفرصة. وذلك أن زمن الرحلة قد امتد في العودة فلم ابلغ القاهرة الا في النصف الثاني من شهر شوال، فالأعمال التي كانت متأخرة من مدة ستة أشهر، وما يجب من الاهتمام والعمل لفتح مدرسة الدعوة والارشاد. وكان قد جاء موعد فتح المدارس. وما يجب من جمع الهيئة العامة لجماعة الدعوة والارشاد في النصف الاول من ذي القعدة، وما عرانا من انحراف المزاج - ثم ماشغل البال والوقت من هذه الحرب المشؤمة - كل ذلك كان حائلاً دون سنوح الفرصة المنتظرة لهذا رأيت انه يجب علي في عرف الوفاء والادب ان أستعاض عن الشكر التفصيلي الخاص، بشكر إجمالي عام، لأولئك الاصدقاء الكرام، والعلماء الاعلام، والاصراء الفخام، وانني أرجو وقد وقفت للكتابة الى قليل منهم، ان أوفق الى مكاتبة سائرهم أو أكثرهم، وانني أخص بالذكر من أتذكر الآن اسماءهم أولهم وأولاهم بالشكر من جالية العرب في بمبي ومن أهلها صديقي الحميم، المحسن العظيم، الكريم ابن الكريم ابن الكريم، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم،

فهو الذي قام بحسن ضيافتي ، في غدوتي وروحتي ، وأعد لي سيارة كهربائية خاصة مدة اقامتي في بمبي . ثم ابنا أخيه الشيخ عبد الرحمن ابراهيم ، والشيخ يعقوب ابراهيم ، والشيخ محمد المشاري رئيس شركة البواخر العربية وعبد الله فوزان ، وسائر الحالية العربية في بومباي الذين استقبلوني على رصيفها هم وبعض كرام أهلها كالخاج سليمان عبد الواحد شريف البلد والحاج اسماعيل صوباني رئيس (انجمن اسلام) الذي حياني على رصيف البحر بحضارة بايعة ، وميان محمد حاضي جان محمد شوتاني كبير طائفة الميمن وأشهر تجارهم نجدة ومروعة ، والحاج عبد الله ميان الكهنديواني من كبراء طائفة الميمن أيضا ، وهؤلاء قد أدبوا لنا ما دب حافلة اجتمع لها مئات من الكبراء والفضلاء ثم أشكر فضل باي من أكابر سروات البلد جماعة آغاخان ، وكنت أننى لو كان زعيمهم محمد سلطان (امام الاسماعيلية) يومئذ في بمبي فاني كنت حريصا على لقائه ، وقد سررت من اهتمام فضل باي بأمر الجامعة الاسلامية لانها كانت جل حديثنا في تراورنا

ومن أخصهم بالشكر والثناء السيد علي الحسن معاون البوليس في (آكره) الذي أحسن ضيافتي وإطلاعي على الآثار العظيمة التي فيها ، ومحمد شعيب مفتش مصلحة الآثار في آكره ودهلي

وأما أهل دهلي فأجدرهم بثماني وشكري الثواب محمد أجمل خان حاذق الملك الطيب الشهير كبير سروات دهلي وأحد أفراد المسلمين الممتازين في الهند بالعلم والفضل وعلو الجناح ، وقد أحسن حفظه الله ضيافتي وجمعني في داره بأكبر علماء البلد ووجهائه ، وخصص لي سيارة كهربائية تيسر لي بركوبها رؤية جميع الآثار القديمة في ضواحي تلك المدينة في مدة قصيرة . ولا أنسى أولئك العلماء الكرام الذين أنسنا معهم هناك وأخص بالذكر منهم (مولوي) الشيخ سيف الرحمن المدرس الاول والناظر لمدرسة (فتح پوري) الدينية وقد زرنا مدرسته وسمعنا وأسمعنا ما فتح الله به فيها . وتكلمنا معه في اصلاح التعاليم والعناية باللغة العربية فصادفنا منه ارتياحا رائينا في ذلك ، ومولوي الشيخ عبد الله الغازي پوري ، ومولوي أحمد الله المبارك پوري ، وميرزا ضمير الدين أحمد اللوهاري . ولا أنسى مودة التاجر الصادق الحاج التسقي عبد الغفار بن الحاج علي جان ، الذي كان يترك محل تجارته الكبير ويصاحبني في كل مكان . وقد صحبتنا معه في رؤية آثار دهلي الثواب ضمير الدين . وبالتقرب من الاثر العظيم الذي هو أكبر آثار دهلي (منارة قطب أوليا) بلدة اسمها (مهرولي) عرجنا فيها على دار

الشيخ رياض الدين من كبراء أهلها وكان أعد لنا غداء طيباً نوع فيه ألوان الاطعمة الهندية ، وكان من مظاهر الكرم الاسلامي في تلك الديار ولم أنس لأنسي زيارة مدرسة (مظاهر العلوم) في مدينة (سهارنبور) ولقاء ناظرها واكبر مدرسيها { مولوي } الشيخ خليل أحمد الذي لم أر في علماء الهند الاعلام أشد منه انصافاً ولا أبعد عن انتمصص للمشايخ وللتقاليد، وما ذلك الا لخالصه وقوة دينه ونور بصيرته

وابداً من شكر أهل (لاهور) الكرام بالثناء على الأمير الجليل ، والسري النبيل ، النواب (فتح علي خان قزلباش) الذي أحسن ضيافتنا ، وأكرم وفادتنا ، ولا غرو فقصره في تلك المدينة القديمة معهد الكبراء والفضلاء ، وموئل الساجين والغرباء ، وأثني بالثناء على الصديقين الفاضلين ، والصيفين الكريمين ، (مولوي محبوب عالم) صاحب جريدة (ينس اخبار) و (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) وكان هذان الفاضلان يتسابقان لضيافتي ، ويرى كل منهما انه أولى بي : الاول لانه تكرم بزيارتي في مصر عند منصرفه من أوربة ، والثاني لما يديني وبينه من صلة المسكينة وعنايته بنشر تفسير المنار ، ولكن النواب الجليل قال انه هو الاحق بذلك فلم يسعهما الا الاذعان ، لانه هو البدء الذي لا يختلف في تقديمه اثنان . ثم أثني التناء الاوفى على الكاتب البليغ والخطيب المصقع (مولوي ظفر علي خان) صاحب جريدة (زميندار) الذي بالغ في الترحيب بي قبل وصولي الى الهند واقترح ان تعقد لجنة لوضع برنامج لحفاوة مسلمي الهند بي ، وكان يريد ان يحتفل بي احتفالاً عاماً يجتمع له الالوف من جميع طبقات الشعب فاعتذرت له عن ذلك ، بأنني مضطر الى السفر الى ندوة العلماء لقرب موعد احتفالها العام ، ومما أذكره مع الشكر والثناء مواتاته لي في الصالح بينه وبين صديقي صاحب جريدة وطن الذي أشكر له مثل هذه المواتاة ، وكانت جرت بينهما مناظرة حادة أدت الى الجفوة وآلمت فضلاء المسلمين في جميع البلاد الهندية حتى رغب الي كثير من كبرائهم في السعي للصالح بينهما عند زيارة لاهور . وما أشكره لصديقي (محبوب عالم) شكراً خاصاً تركه لتجلبه الكرم مريضاً يعالج وظوافه بي على مساجد البلد ومدارسها وعاهدها الاثرية فيها وفي ضواحيها

وأما أهل (لسكنو) فلا أستطيع ان أوفيهم حقهم من الشكر والثناء فقد استقبلني الالوف منهم بحفاوة قلما يستقبل بمثلها الملوك حتى خجعت واستحييت ، وكما وجوهم ان يختصروا في التكرم غلوا فيه وأفرطوا ، حتى انهم جروا المركبة التي وكنها

بأيديهم . وأحصى بالشكر واثناء رجال ندوة العلماء الكرام ، وفي مقدمهم رئيسهم صديقي العلامة الهمام شمس العلماء الشيخ شبلي نعماني ، والسيد ممتاز حسين رئيس لجنة المستقبليين فيها وهو الذي خصص داره الفخية لنزولي فيها ، وتأنق في اتقان الضيافة ماشاء فجمع بين مقتضى أصله العربي الصميم ، وفرعه الهندي الكريم ، واحتشام السلطنة أمين أموال الندوة ، وسائر علماء الندوة وغيرهم كالعلامة الكبير السيد ناصر حسين كبير علماء الشيعة . ثم عظماء البلد الذين أدبوا لنا المادب الحافلة : (مشير حسين القدواني) الذي كان كاتب السر لجمعية الجامعة الإسلامية في لندن وأخوه (شاهد حسين) و (السيد محمد علي حسن خان) ابن أمير العلماء وعلامة الأمراء المرحوم السيد صديق حسن خان نواب بهوبال صاحب التصانيف الشهيرة - والامير الكبير النواب (محمد علي راجا ولاية محمود آباد) وهو من أعظم أمراء الهند وسروانهم من طائفة الشيعة الإمامية ، وأركان النهضة الإسلامية ، فإنه يبذل المال لمدرسة العلوم السكلية في عليكده بألوف الجنيهات ، كما يبذل للمدارس الخاصة بأهل السنة كمدرسة ندوة العلماء ، فنسأل الله أن يكثر في المسلمين من أمثاله ، وكانت خاتمة الدنوات الحافلة في لسكنو دعوة الطبيب الشهير الحكيم (محمد عبد الولي) حياه الله تعالى

وقد سرت من لسكنو إلى (بنارس) مدينة البراهمة المقدسة ومقر أقدم أصنام في الارض فلم أعرف من مسلميها الا مضيفنا الكريم (محمد ممنون حسن خان) المعاون المسلم للحاكم الانكليزي فيها وهو افغاني الاصل فقد تفضل أحسن الله جزاء مع حسن الضيافة بمساعدتنا على رؤية الآثار القديمة الوثنية الثابتة من ألوف السنين . المكتشفة حديثا في ضواحيها ، صرفنا كل وقتنا هنالك في رؤية الآثار والعاديات فلم نعرف لا حد على أن أكثر مسلمي بنارس من الصنائع والزراع وقبلما يوجد فيها أحد من أهل العلوم والآداب فيما نعلم

للشكر بقية

﴿ أبو سعيد العربي الهندي ﴾

كان هذا الرجل في (درنه) يتردد على أنور بك وحاشيته مثل الشيخ صالح التونسي وجاء مصر فاتصل بأخلاق الحزب الوطني فلاحقه الفريقان بالطمن في صاحب المنار فكتب في بعض الجرائد الهندية يشكر عليها إظهاره وتسميته ، وصالحوه بانني انه ادعى في بعضها انه يتكلم في شأني عن معرفته بي وهو لا يعرفني واثارا في مرتين احداهما في لجنة الهلال الاحمر واثانيهما في الطريق دعوته فيها الى ادارة المنار للتعارف والمذاكرة فاستدرو . فاذا كان قد كتب ما كتب بسوء الفهم وهو مخاض فستظهر له عاقبة المناقشين الذين كذبوه وخذعوه (والله ينفو عنه) وان كان مثلهم فجزاؤه على الله تعالى والعاقبة للمتقين